٢٦٦

HARLEQUIN

روايات احلام

أحببت وهماً

ريبيكا ونترز

www.elromancia.com
مرمريا

أحببت وهماً

لأن فران ابتعدت عن الرجال في الماضي، صدمتها قوة هذا الانجذاب الذي شدها إلى أندريا، انجذاب فاق كل حدود المنطق...

ولأن اندريا لم يكن يبحث عن علاقة، ترك فران تؤمن بأنه رجل لا يمكن الوصول اليه... ولكن السحر انقلب على الساحر ووجد أندريا نفسه واقعاً في شباك من حرير!

... والآن هل ستظل فران تشعر بالأمان معه؟

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.	البحرين: ١ دينار
سوريا: ٧٥ ل.س.	السعودية: ١٠ ريال
الأردن: ١,٥ دينار	مصر: ٦ جنيه
الكويت: ٧٥٠ فلس	المغرب: ١٥ درهم
الإمارات: ١٠ دراهم	تونس: ٢ دينار
قطر: ١٠ ريال	عمان: ١ ريال

ISBN 9953-15-103-2
9 789953 151038

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
Husband Potential
First published in Great Britain 1999
Harlequin Mills & Boon Limited
© Rebecca Winters 1999
Translation © Dar El-Farasha - 2002
ISBN 9953 - 15 - 103 - 2

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: ٨٢٥٤/ ١١ هاتف/ فاكس: ٩٦١-١-٤٥٠٩٥٠- بيروت - لبنان
Email: dfarasha@cyberia.net.lb

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟
لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟
ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

١ ـ سرّ راهب

على عتبة دير «ترابيست» وقفت فران، فأطلّ أمامها وادي «بحيرة الملح» بأكمله. كانت السابعة صباحاً، والشمس بالكاد كانت ظاهرة فوق الجبال المحيطة بهذا الدير المنحوت في الصخر.

وكان الندى في هذا الصباح الرائع من أواخر نيسان (أبريل)، لا يزال يبلل العشب المجزوز حديثاً. ولفّ المكان إحساس بالأمان انتشر فوق الأراضي المغطاة بمساحات شاسعة من الأزهار والأشجار.

راحت فران تسجل كل هذا بكاميرتها بينما كان أريج الزهور يسكر أحاسيسها ومشاعرها والغيوم تسبح في السماء الزرقاء المشرقة، كأنها وسائد بيضاء ضخمة. وتمنت وسط برنامج عملها الحافل، لو تجد طريقة تختزن فيها هذه اللحظة، كما تختزن المعلومات في جهاز الكومبيوتر، فتعود إلى هذا الموقع بالذات بومضة عين كلما احتاجت إلى العودة إلى أعماق نفسها.

كل ما كانت تعرفه حتى الآن، هو أن روحها في أوقات نادرة كهذه، تتشوق إلى شيء تعجز عن تحديده.

بينما كانت تتأمل في هذا كله، كانت أصوات الرهبان الرتيبة وهم يرتلون الأناشيد الغريغورية، تخترق المعبد.

ولم تكن قادرة على فهم الرجال الذين يحرمون أنفسهم الملذات الدنيوية في سبيل إظهار ولائهم.

فوالدها الأناني مثلاً، لم يكن قادراً على السيطرة على ملذاته. فبعد أن

خان أمها مع أكثر من امرأة، غادر الولاية ولم يعد أحد يراه أو يسمع عنه.

لم تكن فران الوحيدة بين صديقاتها اللواتي عرفت عائلاتهن المأساة.. فوالد «مارشا هوم» في السجن لزواجه من امرأتين في الوقت ذاته، وبشكل غير قانوني.

ولم تكن فران قادرة على فهم هذا الأمر كذلك. ولا استطاعت فهم أولئك الشبان الذين حاولوا التقرب منها ظناً منهم أنها قد تهتم لأمرهم، وتبين لاحقاً أنهم متزوجون. فوجدت، باشمئزاز وخيبة أمل، أن عدم ثقتها بالرجال عموماً، كانت تزداد.

إذا كان الله قد أراد للرجل والمرأة أن يتزوجا، ويعيشا معاً بسعادة إلى الأبد كشخص واحد، فلِمَ لا ترى هذا يحدث في العالم الذي تعيش فيه؟ واعترفت على مضض أن هناك بعض الاستثناءات مثل عمها وخادم رعيتها.. ورجلين معها في العمل.

يمكن كذلك إضافة هؤلاء الرهبان إلى اللائحة.. فمن المفترض أن يكونوا رجالاً صادقين شرفاء، ولو أنها تضعهم في تصنيف آخر من البشر، مختلف تماماً.

لسوف تدفع غالياً لتجد رجلاً واحداً صالحاً. لكن بعد ثماني وعشرين سنة، يئست من وجوده.. مالت برأسها إلى الخلف، وفتحت الباب الثقيل، متلهفة للتخلص من أي فكرة مزعجة في مثل هذا اليوم الجميل.

بدا لها فناء المعبد مهجوراً.. وما كان يجب أن تندهش، فالوقت مبكر جداً للزوار أو السائحين.

كان هناك لوحة تشير إلى أن على الضيوف الصعود إلى الطابق العلوي للمشاركة في القداس. أما اللوحة الأخرى التي وجدتها، فكانت تشير إلى محل التذكارات إلى يمينها. ولقد قال لها پاول إن رئيس الدير سيلتقي بها هناك للمقابلة التي على أساسها قد تحصل على لقطات داخلية.

وبينما كانت فران تفتح باب المحل، وقفت مقطوعة الأنفاس.. فبعد

كل ما قاله لها پاول، توقعت أن تقابل رجلاً في السبعين من عمره.

لكن الراهب الطويل القامة، الحليق الذقن الأسود الشعر، الجالس وراء منصة البيع كان في أواسط الثلاثين.. كان يرتدي قميص عمل بنياً وبنطلوناً مماثلاً، من النوع الذي شاهدت الرهبان يرتدونه في البساتين. ولكنه كان بهيّ الطلعة على الرغم من ثيابه المتواضعة.

لدى دخولها، توقف عن ترتيب الأواني الفخارية، ورفع عينيه السوداوين الثاقبتين إليها. بدتا سوداوين، لكنهما على الأرجح بنيتان.. فالضوء الخافت في المحل كان يخفي التفاصيل.. وبعد صمت مثير للأعصاب، سمعته يتمتم: «هل أستطيع مساعدتك؟».

كان هذا الراهب يتكلم بصوت عميق رجولي، ويحرك أحاسيسها بشكل غريب.

ـ أنا الآنسة مالوري من مجلة «بيهايف». لقد رتب رئيس الدير أمر مقابلة صحفية مع أحد مراسلينا، لأجل مقالة نريد نشرها في عدد شهر تموز (يوليو).. وقيل لي أن أقابله هنا عند السابعة.

ـ أخشى أن يكون الأب أمبروز متوعكاً هذا الصباح، ويأمل أن تعذريه وتحددي موعداً آخر.

وتابع ملء الرفوف المتبقية بأوعية من العسل والمربى، كانت قد اشترت منها في السنوات الماضية.

ـ طبعاً.

لم تتعرض فران لمثل هذا التجاهل من قبل.. لكنها لم تواجه راهب «ترابيست» من قبل كذلك.

وسألت: «هل أحدد الموعد من خلالك؟».

رفع وجهه الوسيم ونظر إليها، وضاقت عيناه وكأنه لم يكن راضياً عن السؤال: «لا.. اتصلي به هاتفياً بعد أسبوع. لا بد أن تكون صحته تحسنت».

ـ آمل ألاّ يكون الأمر خطيراً.

ـ لا أعتقد هذا.

وأدار ظهره إليها.. مشيراً من دون شك إلى أن هذا اللقاء انتهى. ولكنها لم تكن راغبة في ذلك، بشكل غريب، لم تكن راغبة أن تذهب. فالرهبان يثيرون إعجابها، خاصة هذا الراهب.. شعره القصير كان يبدو شعر ولد صغير من الخلف.. وحاولت أن تتصوره في بنطلون جينز وقميص عادي.

قالت: «اعتقدت أن رهبان «الترابيست» ينذرون الصمت، وأن رئيس الدير وحده يستطيع الكلام ليتفاهم مع الناس.. فلماذا تستطيع أنت أن تكلمني؟».

جاءها الرد من فوق كتفه العريض: «على الرغم من أن الأخوة هنا يرون في الحديث الزائد أمراً لا لزوم له، إلا أن نذر الصمت الكامل أمر خرافي».

ولم تكن فران تعرف هذا: «إذا كان الأمر صحيحاً، هل أستطيع إجراء مقابلة صحفية معك وأنت تعمل؟ أم أن رئيس الدير هو الوحيد الذي يُسمح له بالتكلم مع النساء؟».

رد بهدوء بالغ: «إذا كانت الحالة هكذا، لما كنت أكلمك الآن».

ـ أنا آسفة.. لم أقصد أن يبدو هذا التعليق استفزازياً.

استدار فجأة وواجهها مرة أخرى: «ولمَ الاعتذار؟».

لم يعد لديها رد أمام جرأة سؤاله. لأن نهراً من الحرارة اجتاح جسمها كله.

ـ لست أول امرأة فضولية تقطع عتبة هذا المكان، وقد أثار فيها الغموض قرار رجل أن يبقى ناسكاً.. وما من شك أن امرأة في مثل جمالك، تعجز عن فهم هذا القرار.

وأحست بسخطها يزداد: «جمالي؟».

ـ هيا الآن آنسة مالوري. تعرفين جيداً مدى تأثيرك على رجل.. وإلا لكنت صغت سؤالك بشكل مختلف.

وانخفض نظره عليها: «ولكنت ارتديت شيئاً أقل فتنة. وحدها امرأة لها ثقتها بنفسها مثلك، لا تترك شيئاً يقف في طريقها.. ولا حتى مرض الأب أمبروز».

لو أنها كانت تميل إلى العنف، لصفعته: «لست مندهشة أن الأمر انتهى بك إلى هنا.. بعيداً عن العالم.. وحده الله قادر على أن يغفر لك عجرفتك.. هذا عدا فظاظتك مع الغرباء».

ـ لقد تغاضيت عن عدد من خطاياي الرئيسية. على أي حال، أعتذر لو أهنتك.

ـ أنت لا تتكلم كراهب.

جمدت يداه فوق منصة البيع.

ـ وكيف يتكلم الراهب؟

لم يكن لديها رد على هذا، فهي لم تعرف راهباً من قبل. لقد رتب بول الأمور مع رئيس الدير، وفي رأيها أن الرهبان جنس مختلف من الرجال، لا يريدون سوى العزلة عن العالم ليتعبدوا.

قال: «أنا آسف لو خيبت أملك.. لكن الرهبان أناس عاديون من لحم ودم. وفي بعض الحالات هم عرضة للأخطاء كبقية الناس».

صراحته صدمتها.

ـ هذا ما أكتشفه الآن. هل هذا ما تريدني أن أكتبه في مقالتي؟

ـ ما أريده أنا غير مهم.. وبدون إذن من الأب أمبروز لن تحصلي على حديث.

ـ إذا استطعت أن تؤثر على قراره، قد لا يوافق على موعد آخر. وقد يهمك أن تعرف أنني أرسلت في هذه المهمة لأن زميلي في المجلة أصيب بالإنفلونزا وليس بغية إغواء بعض الرهبان.

www.elromancia.com

وأضافت، وقد التهبت وجنتاها: «ونظراً لردة فعلك يبدو لي أن وجودي قد زعزع إيمانك. وما من شك أن ضميرك المعذب سيجبرك على إعطاء نفسك نوعاً من الكفارة التي تستحقها».

اتجهت نحو مدخل المحل واستدارت لتنقل الكاميرا إلى كتفها الأخرى: «قل لرئيس الدير إن شخصاً من المجلة سيتصل من أجل موعد آخر.. طاب يومك».

وقاومت فران رغبة كانت تدفعها لتصفق الباب في وجهه. ثم غادرت الدير دون أن تنظر خلفها.. وقد شعرت أن غبطتها بجمال ذلك الصباح تبخرت كالغبار.

استطاع أندريه بينيت أن يشم رائحة شامبو المشمش التي عبق بها الجو بعد خروجها العاصف من محل التذكارات.

لقد كان فظاً معها... ولكنه لم يشعر بأي ذنب. فهي لا تختلف أبداً عن أمه التي ولدته. امرأة أشعلت نيرانها بنفسها، امرأة فاتنة تحلق حيث لا تجسر النسور أن تحلّق، ولا تحتسب التكلفة أبداً.

عرفت أمّه بميل والده نحو الكهنوت، مع ذلك أغوته حتى تزوّجت به وأبعدته عن دعوته وولدت منه إبناً هو أندريه نفسه.

وتساءل عما إذا كان من الصدفة أن ترتدي الآنسة مالوري بذلة بلون المشمش تماماً كبشرتها ورائحة شعرها الذي بلون أشعة الشمس. لما قاوم أي رجل سحرها، ولا حتى الراهب، وهي تعرف هذا!

كانت والدته تمتلك هذا النوع من الجمال الأخاذ، لكن هي ووالده سرعان ما ذهبا كل في طريقه.

لو كان أندريه فناناً، لما استطاع مقاومة رسم الآنسة مالوري على لوحة.. لكنه ليس فناناً.. وبكل تأكيد ليس راهباً.

حسب ما يعرف، لم يكن له مواهب خاصة. فهو يتيم منذ المولد، وتربى في «نيو أورلينز» على يد خالته ماودل، امرأة مريرة لكنها طيبة في

الأساس، تعمل في الخياطة.

تعلّق أندريه بالمراكب المسافرة عبر نهر المسيسبي، فترك المنزل في أوائل مراهقته ليرى العالم. وراح يعمل على متن سفن الشحن إلى أن أصبح بحاراً تجارياً.

مع الوقت، تصادق مع رجل سويسري يتكلم أربع لغات بطلاقة.. وإذ شعر بالغيرة منه، تسجل أندريه في جامعة زوريخ حيث درس اللغة الألمانية، والفرنسية، إضافة إلى التاريخ. وعلى الرغم من أنه كان بإمكانه أن يتجه إلى التعليم بإجازته الجامعية، إلا أنه عاد إلى البحر، فهو عمل يسمح له بالتنقل الدائم.

بقي على اتصال مع خالته ماودل، وكان دائماً يرسل لها المال. عاد إلى موطنه في إحدى المناسبات لزيارة قصيرة، لكن شيئاً لم يستطع كبح تململه، وبكل تأكيد ليس زوجة. فالنساء للتسلية بنظره، ما جعل ماودل تيأس من تصرفه، وتدعو الله أن يهديه.

كان دائماً يضحك. لكن تسليته تلاشت، حين اتصل به الشهر الفائت صديق مقرب من خالته وهو على متن السفينة في البوسفور، يتوسل إليه أن يحضر لأن خالته مريضة جداً.

أحسّ أندريه بأن الأمر خطير، فاستقل الطائرة بسرعة ليجد خالته تحتضر. وعلى الرغم من أنه لم يكن متديناً ملتزماً، اتصل بالكاهن لمنحها المشحة الأخيرة.

وبينما كان يمسك بيدها، منتظراً وصول الكاهن، بدأت ماودل باعترافاتها.. وكان قد سمع بالاعتراف على فراش الموت، لكنه لم يوله أي اهتمام.. إلى أن سمع حقيقة معينة تخرج من بين أسرارها الدفينة.

كشف هذا السرّ قلب حياة أندريه رأساً على عقب، وجاء به إلى مدينة سولت «بحيرة الملح» التي كان يظنها آخر الدنيا.

كانت صحراء بحيرة الملح الكبيرة نقمة عليه.. مع ذلك ها هو هنا في

فرصة مؤقتة من عمله.. غريب في أرض غريبة.. يعيش في ظروف لم يحلم بها.

كان بالكاد يصدق أنه حي، لولا رائحة المشمش الدائمة التي كانت تذكره دوماً بطبيعته الفانية.. وبالطبع، ذلك الراهب المريض المستلقي في غرفة تشبه الزنزانة في الجانب الآخر من الدير.. راهب يعرفه الناس باسم «رئيس الدير الأب أمبروز» والد أندريه الشرعي، المولود باسم تشارلز أمبروز منذ ست وستين سنة من أبوين من أصل إنكليزي وفرنسي.

واستناداً إلى الأب جوزف، فإن نوبات التهاب الرئة المتكررة زادت من عمر والده عشر سنوات.. وأصبح هذا الراهب الهزيل الضعيف قوقعة لذاك الرجل الذي كان عليه.

بينما كان أندريه يدخل الغرفة، أدار والده رأسه ورفع نظره إليه: «هل أريت الصحافية المكان؟».

ـ لا.. قلت لها إنك ستكون بخير بعد أسبوع. لقد أمضيت عمرك وأنت تبني هذا الدير إلى أن أصبح ما هو عليه اليوم.. ولا أحد غيرك يجب أن يعطيها قصتك.

رفع والده يده: «أنا لم أفعل شيئاً، كل هذا من عمل الله يا بني».

ـ صحيح يا أبي.. مع ذلك، سنتركك تستعيد قوتك لتكون أنت مرشدها في هذه المقابلة.

ـ لن أشفى هذه المرة.

رد أندريه بحدّة: «هذا هراء».

أن يخسر الأب الذي وجده لتوه، الوالد الذي أراده بيأس واحتاج أن يعرفه، أمر كاد يقتله.

ـ سأرسل في طلب سيارة إسعاف لك.. يجب أن تتعالج في المستشفى.

رد العجوز وهو يناضل ليأخذ نفساً: «لا.. لطالما كرهت المستشفيات».

وهذا قاسم مشترك بين أندريه ووالده.

لقد مرت سنوات طويلة لم يعرف أحدهما بالآخر.

ـ أنت الآن عزائي الوحيد الأكبر على هذه الأرض، اقترب مني.. يسرّني أن أتكلم مع ابني، من لحمي ودمي.. أنت هدية سماوية في ساعتي الأخيرة.

لا بد أن هذه كذبة.

وصول أندريه الفجائي إلى الدير منذ عشرة أيام، معلناً أنه ابن رئيس الدير، كان صدمة كبيرة، وكان أندريه مقتنعاً أن التهاب الرئة قد زاد سوءاً.

ومهما أنكر والده، فقد عرف أندريه الحقيقة.. فهو المسؤول عن حالة الرجل العجوز الحالية، وهذا ما زاد من حزنه.

ـ أنت لست الملام يا بني.. في الواقع أنت ضحية.. وقلبي حزين لأنك حُرمت العائلة.

صمت العجوز قليلاً، ثم قال: «إذا كان هناك من ملام، فهو أنا لأنني تزوجت أمك وطلّقتها لأصبح راهباً. كان ذلك أكثر شيء أناني فعلته. ولم أكن منصفاً تجاهك وتجاهها».

تراجع أندريه قائلاً: «حسب قول الخالة ماودل، أمي هي التي دفعتك للقيام بذلك».

رفع الراهب يده مرة أخرى، ثم وقعت إلى جانبه: «ماودل شقيقة أمك الكبيرة، ولم تتزوج أبداً.. لم تعرف رجلاً. وغيرتها من ليزيت جعلتها تقول أشياء سيئة عنها.. لا تصدق اتهاماتها.. لا يمكن لامرأة أن تدفع رجلاً للقيام بشيء لا يريده.. لقد طفتَ في العالم، وأنت تعرف أن هذا صحيح».

وكان أندريه يعرف حقاً.

ـ كانت عائلة أمك فرنسية. وكانت جميلة جداً.. وأرى الكثير من ليزيت في شعرك الأسود، وعينيك.

بكى بصوت منخفض قبل أن ينتابه السعال: «ولو أنني أردت دائماً أن أكون في خدمة الرب، إلا أنني أحببتها كذلك. وكان قلبي ممزقاً بسبب ذلك الصراع بين حب الله وحبها هي. ولكن لو تركتني أعرف أنها كانت حامل بك، لما طلّقتها... وعندما أخبرتها أنني سأتبع دعوتي، بقيت صامتة. ولم أرها أو أسمع عنها منذ ذلك الحين. ولم يكن لدي فكرة أنها ماتت بعد الولادة».

انهمرت الدموع على خدّيه المتوهجين وأكمل بصوت خشن: «لا تخطىء أبداً أندريه.. أمك لم تكن أنانية. فقد اختارت أن تخفي عنّي حملها لأنها في قلبها، كانت تعرف برغبتي في خدمة الرب. وفي النهاية قامت خالتك ماودل بشيء عظيم.. بالرغم من مساوئها، فقد ربّتك لتكون رجلاً رائعاً».

ـ لكنها لم تعمدني على اسمك يا أبي.

ـ لم تكن هذه غلطتها.. فأنا واثق إنها وأمك قررتا أن تحمل اسم عائلة أمك.. ألا ترى؟ لقد أرادتا حمايتي.

صمت العجوز قليلاً، وأكمل: «لكن اسم بينيت اسم رائع، إنه اسم أمك، كن فخوراً به.. أوه.. أندريه.. أنا لا أستحق مثل هذه النعمة، لكنني أعرف أن السماء ستكافىء ماودل التي لا بد أحبتك في سرها كابن لها.. انظر إلى نفسك!».

ونظر إلى أندريه بعينين محبتين: «أنا فخور بك كثيراً.. لقد ذهبت إلى كل مكان، وبتّ تعرف كل شيء، وتتكلم لغات أخرى.. لقد تعلّمت، واستثمرت مالك بحكمة. ما من رجل يستطيع أن يتمنى ابناً أفضل منك. ولقد قلت للأخوة إنك ابني.. وأريد أن أصيح بهذا للعالم بأسره!».

ـ ما كان يجب أن تفعل هذا أبي.. ما كان يجب أن يعرف أحد.. أنا لم أقصد أبداً أن أجلب لك العار.

وبدا العجوز غاضب فعلاً: «العار؟ أنت لا تفهم! لماذا أخبىء رجلاً من لحمي ودمي عن أخوتي الذين خدمتهم طوال هذه السنين؟ لقد قلت لهم

أنني حين أموت، أريدك أن تكون حراً في البقاء هنا قدر ما تشاء. سيكون هذا المكان بيتك حين تريده أن يكون.. أنا لست رجلاً دنيوياً.. ولم أترك لك محلاً تجارياً أو مزرعة، فأنا لا أملك شيئاً.. لكن، أستطيع أن أعطيك مكاناً هادئاً تلجأ إليه لتفكر وتتأمل.. أمر واحد ينقصك. لقد تعلمت كل شيء ما عدا معنى الحياة.. وربما ستجد الجواب هنا في يوم ما. عندئذٍ ستتمتع بالأمان الذي راوغك طويلاً».

تعجب أندريه لبعد نظر والده، وأمسك باليد الهزيلة الممدودة إليه.. وحين سمع شهقة والده، انهار أندريه ليبكي معه.

همس الراهب العجوز بعد فترة: «أندريه؟ أعرف ما في قلبك.. إضافة إلى الارتباك والغضب الذي تشعر به نحوي، ونحو أمك وخالتك ماودل. لديك أسئلة، سأحاول جهدي أن أرد عليها كلها. لكن يجب أن تعدني بشيء في المقابل».

وكافح مجدداً ليأخذ نفساً: «أندريه.. عدني بألاّ تدع الغضب والمرارة يتحكّمان في حياتك!».

وكان والده يطلب المستحيل. لكن إزاء دنو الموت، لم يجد أندريه خياراً آخر، فقطع للوالد الذي وجده حديثاً الوعد الذي لا يتصور أنه سيفي به.

لم تستطع فران أن تصدق أن الوقت مضى بهذه السرعة وأن يوم الجمعة هو الموعد النهائي لصدور عدد الشهر، ولا زال عليها السفر إلى «كلاريون» اليوم لزيارة المتحدرين من المستعمرين الأوائل، والتقاط الصور لهم.

ـ الخط الثاني لك فراني.

ـ لا أستطيع الرد الآن يا باولا.

ـ لكن الرجل اتصل خمس مرات بالأمس.

ـ ما اسمه؟

ـ لم يترك اسمه، وقلت له إنك ستكونين هنا لبضع دقائق هذا الصباح. ولقد نفدت مني الأعذار.

ـ حسن جداً.

كانت تكره أن يرفض الناس أن تعاود الاتصال بهم وكأنها تعيش لترد على الهاتف. رفعت شعرها عن وجهها، ثم رفعت السماعة إلى أذنها.

ـ فران مالوري تتكلم.

ـ آنسة مالوري.. وأخيراً.

وعرفت فران ذلك الصوت. فبدأ جسمها يرتجف لأسباب مختلفة لم تستطع تفسيرها. لكن شيئاً واحداً مؤكداً.. أكان راهباً أم لا، سترفض أن تساعده.. وإذا كان هذا عملاً لا إنساني، فليكن.. لقد كان فظيعاً معها!

ردت بحدة: «نعم؟».

ـ أستحق هذا.

لم تقابل فران في حياتها راهباً مماثلاً، فهو لا يمتّ إلى الرهبان بصلة.

ـ إذا كان رئيس الدير قد أصبح بصحة جيدة لإجراء المقابلة، عليك أن تتصل بپاول غوتس.. فهذه قصته هو.

ـ فهمت أنه في إجازة. وإذا كنت ما زلت تريدين إجراء المقابلة.. تعالي إلى الدير الآن.

وانقطع الخط.

أمسكت بالسماعة أمامها وصرخت سخطاً قبل أن تعيدها مكانها بكل ما أوتيت من قوة.

قالت تقلّده بصوت أجش: «تعالي إلى الدير الآن».

من يظن نفسه؟

قال پاول يسخر منها: «أتكلّمين نفسك مجدداً يا فراني؟ أتعلمين ما قد يعني هذ؟».

پاول!

استدارت في مقعدها: «ماذا تفعل هنا؟».

رمش الصحافي القصير الأشقر عينيه: «على حد علمي.. أنني أعمل

هنا».

ـ لكنك في إجازة.

ـ حقاً؟ هل أعطاني بارني أخيراً فرصة؟ الآن؟ ونحن نقترب من موعد الإصدار؟ هذا خبر جديد لي.

ـ لقد اتصل ذلك الراهب من الدير لتوه وقال إنك خارج البلدة.

رد پاول ضاحكاً: «كنت.. لكن بالأمس. لا بد أن ذلك الراهب يريد رؤيتك مجدداً. أستطيع أن أتصور كم يحتاجون إلى رؤية امرأة جميلة...».

وكان پاول مخطئاً. فهذا الراهب بالذات لا يحب النساء. وهي تعرف ذلك تماماً.

ـ حسناً.. بكل تأكيد لن أعود إلى هناك، بينما هذه قصتك يا پاول.

ـ آه.. هيا الآن. أعط الرجل المسكين فرصة.. ثم يجب أن أذهب إلى متحف الديناصورات في «فيرنيل» عند الظهر لألتقط بعض الصور لإصدار شهر أيار (يوليو)، ولا تنسي أنك سبق والتقطت صوراً خارجية للدير، وكانت ممتازة.. وهذا كله لك مع بركتي، يا طفلتي فراني.

تمتمت: «شكراً جزيلاً».

ولم تكن سعيدة أبداً لتغيير الخطط. فهي كانت تخاف رؤيته مرة أخرى، ولو أنها في أعماق قلبها، اضطرت أن تعترف بأن الراهب سحرها، وجعلها تشعر بأشياء لم تشعر بها من قبل. ولكن لحسن الحظ أنها ستكون بصحبة رئيس الدير خلال المقابلة.

أما بالنسبة للراهب، فيمكن أن تدعو الله ألاّ يكون موجوداً. ولو صدف والتقت به.. ستتظاهر بأنه غير موجود إطلاقاً.

لكن، بعد نصف ساعة، اضطرت للتراجع عمّا قالته حين اكتشفت أنه ينتظرها في موقف السيارات في الدير. وقبل أن تتوقف السيارة، كان الدم يتدفق في شرايينها.

فتح الباب، وأخذ منها حقيبة الكاميرا.. وتوهّج وجهها وهي تشعر

www.elromancia.com

بنظراته على ساقيها الطويلين الجميلين. خرجت من السيارة بسرعة، وقد لاحظت أنه يرتدي ثياب العمل نفسها التي كان يرتديها منذ أيام.

في أول زيارة لها، لم تلاحظ سمرته.. فقد كان محل التذكارات معتماً. وفي ضوء الشمس الباهر بدت بشرته بلون الخشب المصقول، وكأنه يمضي ساعات طويلة في الهواء الطلق. قسماته القاتمة، وجسمه القوي، وعضلاته المفتولة خطفت أنفاسها. وما لبثت أن شعرت بالإحراج لأنه ضبطها تحدق به، فأشاحت بعينيها.

ـ لا بد أنك تجاوزت حدود السرعة المسموحة لتصلي إلى هنا بهذه السرعة يا آنسة مالوري.

ـ أمامي موعد محدد. وهذه المحطة هي واحدة من عدة محطات يجب أن أقوم بها اليوم. لكن، أعتقد أن هذا بالنسبة إليك «خطيئة» أخرى تلقيها عند قدمي.

ـ أخرى؟

ـ ما من شك أنك وضعت لائحة طويلة.

أغلق الباب قائلاً: «ولماذا أفعل هذا؟».

ـ لماذا.. حقاً. هل ينتظرني رئيس الدير في الداخل؟

ـ لا.. لقد مات بعد أربعة أيام من زيارتك.

شهقت فران مصدومة: «لست أفهم.. لماذا لم تقل هذا حين اتصلت؟».

ـ لماذا؟ بالتأكيد لا يعني موته شيئاً لك.. ستحصلين على قصتك في مطلق الأحوال.

استدارت إلى الراهب، وقد استشاطت غضباً: «كيف يمكن أن تقول هذا؟ لقد قال لي پاول إنه شخصية رائعة مرحة، وكنت أتلهف لمقابلته، وأنا حزينة جداً لهذا الخبر».

تمتم: «لقد تلقيت توبيخي».

ابتلعت بصعوبة.. لم يكن اعتذاره واضحاً. لكن، بدا أن هذا الراهب لا يتمتع بأي لباقات اجتماعية.

ـ عرفت أنه كان رئيس الدير هنا لأكثر من ثلاثين سنة.. وكونكم، أنتم الرهبان، تعيشون في مجتمع مغلق، أفترض أنكم ستفتقدونه كثيراً.

ـ أنا واثق من هذا.

ـ أنت تسخر مني.

هز كتفيه بأناقة ودون اكتراث: «أبداً.. على العكس.. سأفتقده أنا أكثر مما يمكنك أن تتصوري».

وكان صوته جافاً بحيث بدت كلماته صادقة بشكل غريب..

ألم تقرأ في مكان ما أن الرهبان لا يُفترض بهم أن يتعلقوا ببعضهم البعض؟ ولكن برأي فران، على المرء ألاّ يكون من البشر كي لا يهتم.

ـ لقد شرفني الأب أمبروز بأن طلب مني أن أتولى أمر هذه المقابلة مكانه.

شيء ما يجري هنا.. شيء غريب لم تفهمه.. لكنها لا ترغب مطلقاً في مزيد من التواجه مع هذا الراهب الغامض.

ـ على مجلتنا أن تكرّمه وتكرّم ذكراه.

ـ أخبريني عن المجلة التي تعملين لها يا آنسة مالوري.

ـ نحن نطبع نشرة شهرية تقدم ولاية «أوتاه» إلى العالم. نكتب مقالات معمّقة عن المواقع الجغرافية المهمة، والتاريخ، والأديان، الصناعة، ومواقع الاستجمام وعن الناس.

ـ ولماذا تكتبون قصة عن الدير بعد كل هذه السنوات؟

ـ نحن نريد أن نخصص عدداً من المجلة لأوتاه، قديماً وحديثاً. وسيحتوي على قصص حول المجموعات التي لا تزال تعيش هنا اليوم. وكما فهمت، ثم تأسيس هذا الدير عام ١٨٦٠. لكن البنية الخشبية الأولى احترقت بضربة صاعقة.. ولقد قمت بأبحاث تكفي لأجد أنه لم يصبح

www.elromancia.com

مجتمعاً مكتفياً بذاته إلاّ بعد مئة سنة حين أرسل الأب أمبروز إلى هنا.. وهو الآن مكان سلام وجمال، وملاذ لمن يزوره ولمن يألفون مجتمعه المتدين.

ـ أنا متأثر لأنك تعرفين كثيراً عنه. وأقترح أن نبدأ المقابلة بالسير في البساتين.

للمرة الأولى منذ التقيا، بدا أقل عدوانية، ما ساعدها لتسترخي قليلاً.

ـ إذا لم يكن لديك مانع، سأدير آلة التسجيل ونحن نتكلم.

هز رأسه موافقاً. وكان عليها أن تسير بسرعة لتتماشى مع خطواته.. كان يتحرك برشاقة ودون جهد، ولم تستطع سوى أن تُعجَب به.

ـ هل كانت البساتين فكرته؟

ـ أجل.. وكذلك قفران النحل، وكلاهما يؤمن دخل الدير من العسل والزبدة والفاكهة المحفوظة فنشتري مزيداً من الأراضي وندعم الدير من دون أي مساعدة خارجية.

ـ ومن أين حصل على طريقة صنع هذا كله؟

ـ لقد عاش الرئيس في «لويزيانا».. وكانت أمه تطهو للعائلات الثرية التي كانت تملك المزارع ويبدو أن الصبي كان يراقبها وهي تصنع المربى وزبدة العسل، وجاء معه بأسرار الطبخ الشمالي القديم.

ـ زبدة العسل رائعة.. أنا أشتريها دائماً.. يا لها من قصة آسرة، أوه.. كم كنت سأحب أن أتحدث مع الرئيس شخصياً.

ـ لقد كان مريضاً جداً في أيامه الأخيرة.. لكنني أستطيع أن أقول لك إنه، حين وصل إلى هنا منذ ثلاثين سنة، لم يكن هناك شيء سوى كوخ مؤقت مبني على مرتفع من الأرض مليء بالصخور والأعشاب الضارة.

توقفت في مكانها، وتطلعت إلى المساحات الخضراء الممتدة أمامها، ثم راحت تلتقط صورة بعد صورة لرهبان الدير وهم يعملون. وببطء تحولت عيناها إلى الدير: «تلك الصخور في واجهته..».

ـ كلها حجارة محلية. وكل واحدة نحتت يدوياً وحملها الرهبان ليبنوا

بها المكان الجديد، وكانت عملية شاقة ومملة.. عمل صعب استغرق عدة سنوات.

علّقت بصوت مرتفع: «كان للرئيس بعد نظر للقيام بكل هذا. يا له من راهب مميز. هل هناك صور تُظهر كيف كان يبدو حين بدأ ببناء الدير الجديد؟».

ـ هناك بضع صور، لكنها ليست في حالة جيدة.

ـ لدينا خبير في الصور يقوم بأعمال الترميم بشكل ممتاز، فهل تثق بي وتعطيني إياها؟ وإلاّ يمكن أن أستشير جمعية أوتاه التاريخية وأرى ما لديهم.

ـ ما من مانع في أن تستعيريها.

وابتهجت فران في سرّها.. ولسبب غريب أرادت أن يكون هذا المقال استثنائياً.

ـ هل التقاط الصور داخل المعبد مسموح؟

ـ يمكنك التقاط الصور من عدة أماكن. مثل شرفة الكنيسة حيث يسمح للعامة بحضور القداس. وستتمكنين من أخذ أفضل اللقطات للمذبح.. لقد أرسل يطلب تمثال العذراء الصغير خصيصاً من فلورنسا في إيطاليا.

ـ لقد شاهدته من قبل.. إنه رائع، أتعتقد أني أستطيع أخذ صور له إضافة إلى صور قبر الرئيس؟ أعتقد أنه مدفون ضمن أملاك الدير.. وسأرغب في صورة لشاهدة قبره أنهي بها المقال. ويكون عنوانها «مقبرة قديس».

تجهّم تعبير الراهب. وبصوت هادىء قال: «مقبرة الدير موجودة خلف المبنى».

خلال الساعة التي تلت، أغرقته فران بالأسئلة وهما يجولان في أراضي الدير، وفي المكتبة التي كان الرئيس يستخدمها كمكتبة شخصية. ولكن بالطبع كان من المحظر الدخول إلى غرف الرهبان.

www.elromancia.com

حين وصلا إلى محل التذكارات، التقطت المزيد من الصور.. ثم اشترت زبدة العسل والمربى لعائلتها، وأخذت كذلك بضع كتيبات مجانية تحتوي على وقائع تفيدها في مقالتها.

رافقها حتى السيارة حيث قالت: «لدي طلب واحد بعد.. لقد تركتني أصوّر أخوتك.. فهل لي أن ألتقط صورة أخيرة لك على سلم المعبد؟».

ـ لا.

وكان رفضه واضحاً ونهائياً.

واجتاحتها موجة خيبة أمل، لكنها صممت على عدم إظهارها.. ماذا دهاك فران؟ إنه راهب بحق السماء!

أجبرت ابتسامة على فمها ورفعت بصرها إليه: «لقد كنت كريماً معي بوقتك ومعلوماتك، أكثر مما توقعت.. وسأغادر الآن كي تتمكن من العودة إلى واجباتك. أنا.. لم أدرك من قبل كم تعملون بجهد.. وكم أنكم مشغولون».

كانت تعرف أنها تتكلم بسرعة، لكنها لم تستطع منع نفسها.. فحين كانت تتوتر، كانت الكلمات تتدافع منها.

ـ لقد كان هذا نوعاً من الثقافة لي، وأعرف أن المقال سيجذب آلاف القرّاء. حين تصبح الصور جاهزة، سأتصل بك لأريك نسخة أولية عنها لتعطيني رأيك.

ـ ومتى سيكون هذا؟

واضطرت إلى التفكير بسرعة.. كان عليها الذهاب إلى كلاريون.. ولو عملت لوقت متأخر..

ـ بعد الغد.. عند الساعة التاسعة على الأرجح. هل هذا يناسبك؟

ـ سأكون في محل التذكارات.

أعرف.

وهذه هي المشكلة.. وأخشى ألاّ أستطيع أن أنسى. أي عذر سأختلقه لآتي إلى هنا بعد نشر المقال وتسليمك نسخة عنه؟

سألت: «كل هذا الوقت ولم تقل لي ما هو اسمك».

تجهمّت أساريره: «الاسم ليس مهماً».

فتح لها باب السائق، فاضطرت إلى الصعود. وحين أقفله، قال: «كنت أتبع تعليمات الأب أمبروز.. فتظاهري أنه هو الذي أجرى معك المقابلة.. وسيسامحك الله على هذه الكذبة».

تمسّكت يداها بالمقود بشدة. وكانت كلماته توحي أن الله لن يغفر لها أي شيء آخر.

فهل هذا تحذير؟

هل أحس بانجذابها الطبيعي إليه؟ هل أحس به من أول لحظة التقيا فيها؟

لو كان يعمل في محل التذكارات، فكم زائرة للدير انجذبت إلى مظهره الأسمر، وجاذبيته التي لا يمكن إنكارها؟ ألهذا السبب كان فظاً معها؟

خشية أن يكون هذا هو الحال، رفضت أن تنظر إليه وهي تقود سيارتها مبتعدة، ووجهها يلتهب ناراً، لكن وعندما انعطفت في آخر الطريق، لم تستطع سوى أن تنظر إلى المرآة مرة أخيرة، ولم يكن موجوداً.

***

www.elromancia.com

٢ ـ هارب من شيء ما

ـ خالتي ماودل؟ كيف كان شكل أبي؟

ـ نسيت شكله. فهو لم يكن موجوداً ساعة ولدتك أمك.

ـ أنا من تسبب بموتها.. هه.

ـ ليس عمداً. والآن توقف عن الأسئلة وأنه غسيل الصحون. لقد حان وقت النوم وأنا متعبة، ويجب أن نذهب إلى القداس في الصباح.

ـ وما هو القداس؟

ـ التعبّد في الكنيسة.

ـ لكنني لا أرغب في الذهاب.

ـ ما عليك فعله يختلف عمّا تريد فعله، وهكذا تبنى الشخصية.

ـ ما هي الشخصية؟

ـ إنها فعل شيء لا تريد أن تفعله.

ـ إذن لماذا يجب أن نفعله.

ـ لماذا؟ لأن الله قال هذا.

ـ خالتي من هي مريم؟

ـ إنها والدة يسوع..

ـ لا بد أنه كان محظوظاً لأنه كان يراها طوال الوقت.

ـ ومن قال لك هذا؟

ـ پيار.. أتمنى لو أستطيع رؤية أمي.

ـ لكنك، لا تستطيع. لذا توقف عن هذا الضجيج.

ـ حسناً.

واستفاق أندريه من أحلامه السيئة والعرق يتصبّب منه. تفحص ساعته.. ليجد أنها الرابعة والنصف صباحاً.

نهض من السرير الصغير في الغرفة المتواضعة المخصصة للضيوف في الدير. وصب الماء في الوعاء وغسل وجهه به، متخللاً بيديه.

للمرة الأولى في حياته يدرك أنه يحلم دائماً بأنه يفتقد أمه، وليس أباه. أمر غريب. والأغرب، والأكثر قسوة، كان صمت الخالة ماودل. فطوال السنوات التي كان يكبر فيها لم تقل له كلمة أبداً.

لكن بعد أحاديثه الطويلة مع والده، بدأ يفهم أن خالته كانت تتألم لأنه لم يظهر لها الكثير من الامتنان لتضحيتها من أجله. فكلما كان يقول لها إنه يفتقد أمه، كانت تنزعج لأنها حاولت جهدها أن تكون بمثابة أم له.

تمنّى لو أنه لم يسمع اعترافها أبداً. والآن فات الأوان ليقول لخالته كم هو آسف لأنه لم يفهم.

أليس هناك قول مأثور عن أن الجهل نعمة؟

حتى يوم اعترافها، لم تكن حياته نعيماً.. لكنه اصطنع لنفسه حياة مريحة، ناهيك عن أنه تابع تعليمه ونمط حياته المغامر.

وفجأة، حط في أرض لا يملكها إنسان، في صحراء محصورة قد تكون حتى في كوكب آخر.

إذا كان لم يشعر بأي انتماء قبل اعتراف الخالة ماودل، فهو لا يشعر بشيء الآن بعد أن تقابل وجهاً لوجه مع والده.

إنهما نقيضان تماماً.

والده يحب الجبال وتربية الأزهار والاستقرار... رجل بسيط له أذواق بسيطة يحب أن يعمل بيديه ويتقبل واجبه اليومي بكل طيبة خاطر. شخصية مرحة، مطيعة. ليس بحاجة لامرأة.. رجل يؤمن بالله.

www.elromancia.com

كيف أمكن أن يكون أندريه ابن هذا الرجل؟

وكيف أمكن أن يأتي إلى الدنيا من أم أوقفت علمها عند الصف الثامن، أم من دون أحلام، ضائعة بخياطة الفساتين للسيدات الثريات؟

حسب قول والده، كانت امرأة جميلة لها الكثير من المعجبين، لكنها وقعت في حب رجل أراد أن يكون راهباً. . ولم يكن أيّ من هذا منطقياً بالنسبة لأندريه.

على الأرجح، هذا ما يشعر به الأولاد بالتبني حين يعرفون عن حياة أبويهم الحقيقيين. . فهم ببساطة لا يستطيعون الإحساس بأي رابط تجاههم.

مرّر أندريه يده على ذقنه فلاحظ خشونتها، عليه أن يحلقها قبل أن يحين موعده مع الآنسة مالوري عند الساعة التاسعة. . وما إن يعطي الموافقة على ما سيرد في مقالتها، سيطلب سيارة أجرة، ويتجه إلى المطار.

صحيح أنّ الإخوة لطفاء معه، لكنه غريب هنا. ولقد حان الوقت للرحيل.

على أي حال، بما أنه جاء إلى الولايات المتحدة، عليه أن يذهب إلى لوس أنجلوس ليسجل اسمه في سفينة شحن متجهة إلى ألاسكا. فهذا مكان لم يزره من قبل. . وهو يحتاج إلى مناظر جديدة. لقد اشتاق للبحر الواسع، ولمياه المحيط الهادىء.

قرر في حيرة أمره أن يرتدي ملابسه وينضم إلى الاخوة في البستان. . فلو عمل معهم ثلاث أو أربع ساعات، لمضى الوقت بسرعة. ففي هذا مزاجه من الأفضل أن يشغل نفسه عن التفكير.

خلال أسفاره العديدة، التقى أندريه بالعديد من النساء الغريبات الغامضات. وأقام علاقات مع عدد منهن. . لكن الحياة في الدير مع والده المريض كانت مسألة مختلفة تماماً.

على الرغم من أنه كان يبقى في البحر لفترات طويلة مع الرجال، فهو يعتقد أن هذه أطول مدة مرت عليه دون أن يهتم بامرأة، لذلك، عليه ألا

يفترض بأن صورة الآنسة مالوري استمرت بالتطفل على أفكاره، لأنها على عكس الزائرات للدير، وربط وجودها بأبيه وعرف أنها ستعود لإنهاء المقابلة.

بعد أربع ساعات دخلت فران محل التذكارات وهي تحمل مغلفاً كبيراً تحت ذراعها. . ولم يشعر أندريه بالارتياح إزاء خفقان قلبه ودقاته التي تسارعت حين عرف بوجودها.

لم تكن أكثر النساء اللاتي رآهنّ جمالاً، لكنّ فيها شيئاً مختلفاً. . حتى في الضوء الخافت، كانت مشرقة، وكأنها جاءت بأكسير النهار معها. . ولا بد أن هذا ما تفتقده الأخريات.

ـ صباح الخير.

كان لصوتها رنة اخترقته حتى الأعماق.

ـ آنسة مالوري. . هيا، ضعيها على منصة البيع.

فتحت المغلف، ثم استدارت لتواجهه: «كما ترى. . هناك صورة ملونة للأب أمبروز على رأس المقال. لقد حصلنا عليها من قسم الأرشيف في مكاتب الإدارة الكاثوليكية. أعتقد أنها التقُطت منذ عشرين سنة على الأقل، لقد كان رجلاً وسيماً جداً حينها. لطف منك أنك سمحت لنا بكتابة المقال. ولقد وضعنا الصورة الأصلية في إطار كهدية للدير. . إنها طريقتي. . طريقة المجلة في شكرك للوقت الذي ضحيّت به».

نظر أندريه إلى الصورة التي وضعتها فران قرب المغلف. . وسبح في أفكاره وهو ينظر إلى وجه والده الأسمر وعينيه الزرقاوين الداكنتين.

نظرة واحدة تحت الذكرى المؤلمة عن ذاك الراهب العجوز المنهك، الذي كافح حتى الرمق الأخير ليموت بين ذراعي أندريه.

لقد قالت الآنسة مالوري الحقيقة.

فوالده في أيام صباه كان بهيّ الطلعة، ومميزاً جداً. . تفاجأ أندريه للفخر الذي أحسّ به.

www.elromancia.com

نظرت إليه عينا فران الخضراوان كورق الشجر بلهفة: «هل.. هل أنت موافق؟».

تنحنح، ورد بصوت أجش: «أجل».

ولم يعد أندريه يشعر برغبة في مهاجمتها، خاصة وقد أعطته هدية لا تقدّر بثمن.

ساد تردد بسيط، قبل أن تتمتم: «أرجوك.. خذ وقتك في مراجعة المقال والصور. سأذهب لأتمشى.. وسأعود بعد وقت قصير».

لم يعرف ما إذا كانت انتبهت لمزاجه أم أنها كانت بحاجة إلى استخدام الحمام. لكنه كان ممتناً للدقائق القليلة التي منحته إيّاها.

وما إن خرجت، حتى راح يقرأ المقال بأدنى تفاصيله ويفكر بكل كلمة كتبتها عن والده ويتأمل الصور التي التقطتها، وسكون الكنيسة وجمالها، وما يحيط بها.

استولى عليه ألم عميق، لأن والده مات قبل أن يتمكن من الاستمتاع بقراءة هذا الإنجاز الرائع عن حياة نسكه، ومساهمته في مجتمعه بشكل عام.

لقد أعاد المقال الحياة إلى والده.. وإذ كان أندريه مستغرقاً في التفكير، لم يدرك أن الآنسة مالوري عادت إلى الغرفة إلى أن شم رائحة عطرها.

وتفحصت عيناها عينيه: «هل هناك ما تريد تغييره؟ أي شيء لا توافق عليه؟».

- أبداً.. لو أن الرئيس لا يزال حياً، لأعجبه هذا.

قالت بهدوء قبل أن تبعد نظرها: «يسرّني ذلك. حين سينشر المقال سآتي بعدة نسخات للجميع».

لن أكون هنا. لكنه أبقى تفكيره لنفسه.

- سيسرّ هذا الأخوة.

سمع تنفسها العميق: «جيد.. إذن، لن أؤخرك أكثر، يجب أن أعود إلى المكتب فوراً.. وداعاً».

أغلقت المغلف ووضعته تحت إبطها، ما لفت انتباه أندريه إلى جمال قوامها في البذلة الصفراء قبل أن تسير لتخرج.

أراد أن يرد عليها، لكن الكلمات علقت في حلقه، وبدلاً من مرافقتها إلى الخارج، بقي خلف منصة البيع وكأنها ملاذه.

على الأقل، لن يكون لديه ما يتذكره بعد رحيله.

فهو لم يحب «بحيرة الملح» ولا رغبة لديه في العودة مطلقاً.

***

كان أمام فران مجموعة مهمات تقوم بها قبل أن تغطي جولة فرقة «بحيرة الملح» «المورمونيه» في لوس أنجلوس وأوستراليا.. لكنها كانت تعد الدقائق حتى يصدر عدد شهر تموز من مجلة «بيهايف». لم تنم طوال الليل، تنتظر الصباح، لتأخذ عدة نسخات إلى الدير.

بعد رحلتها الأخيرة إلى هناك، صممت أن ترسل نسخ المجلة بالبريد.. وهذا ما ينبغي لها أن تفعله.. فلا يجدر بها أن تتعلق براهب. ولكن ذلك كان أقوى من إرادتها.

يجب أن أرى الراهب لمرة واحدة بعد.. يجب أن أراه.

لو عرفت أمها الحقيقة لذهلت تماماً، حتى أن فران نفسها كانت مذهولة.

ولو علم قسيس كنيستها بالأمر، لقال لها إن إبليس شرير ويعرف كيف يصل إلى الناس وهم في أضعف أوقاتهم.. ولقد سمعت كل هذا في الوعظ قبل الآن، لكنها لم تولِ تلك الكلمات أدنى أهمية.

«أنت لست اول امرأة فضولية تعبر عتبة هذا المكان، وقد أثار الغموض فيها قرار رجال أن يبقوا نساكاً. وما من شك أن امرأة في مثل جمالك تعجز عن فهم هذا القرار».

لطالما كان وجه فران يحمّر خجلاً حين تشعر بالاحراج.. وها قد اصطبغ الآن بالأحمر لمجرد تذكرها تلك الكلمات.

www.elromancia.com

كان الراهب يعرف عنها أكثر مما تعرف هي عن نفسها. . ولقد كشفها أمام نفسها دون أن يرف له جفن.

ما كان مذلاً حقاً هو أنها ستعود إلى مسرح الجريمة، لتلقى على الأرجح المعاملة ذاتها. . فهل هي تتلذذ بالتعذيب، أم أنها ببساطة امرأة منحرفة تتشوق لاهتمام هذا الراهب المتنسك، ولو أنها تنكر هذا بشدة.

أخذت معها بعضاً من أعداد المجلة وتوجهت بلهفة إلى الدير.

وإذ حل الأول من تموز (يوليو)، كانت أشجار مختلفة قد أزهرت في أراضي الدير. وكان على الرهبان أن يرهقوا أنفسهم في العمل في هذا الحرّ الخانق. خلال المقابلة، اكتشفت فران أن الدير خال من أجهزة التكييف. ولم تستطع أن تتصور العيش من دون تبريد.

ولم تستطع تصور العيش في الدير!

هذه المرة حين أوقفت سيارتها، لاحظت سيارات أخرى وباص سياحي في الموقف، وكان الناس يجولون في المكان. ما يعني أن هناك المزيد من السواح داخل محل التذكارات.

عقدت حاجبيها لأنيقين، إذ لم تحسب أن تجد أحداً حين توصل هديتها.

أنت تريدين أن تكوني وحيدة معه.

فرانسيسكا مالوري. . أنت حمقاء!

خرجت من السيارة من دون تردد وتقدمت نحو مدخل الكنيسة، والمجلات بين ذراعيها.

وتماماً كما تصورت، كان محل التذكارات يعجّ بالسائحين الذين يشترون كل ما يقع عليه نظرهم. . وكان راهبان مسنّان يخدمان الناس. لكن الراهب الذي يلاحقها في لياليها لم يكن موجوداً.

وهبط قلبها. . وانتظرت في الزاوية إلى أن فرغت معظم الغرفة، قبل أن تتقدم إلى الراهب الأقرب إليها.

ـ أنا فران مالوري من مجلة (بيهايف). لقد قلت للراهب الذي رافقني

في المقابلة بدلاً من الأب أمبروز، إنني سأجيء ببعض النسخ للجميع.

انحنى الراهب قائلاً: «أنت لطيفة جداً».

ثم مد يده إلى المجلات. هذا لا يتم بالطريقة التي خططت لها. . الآن لم يعد لها خيار سوى أن تعطيه المجلات.

ـ هل من الممكن أن أتكلم مع الراهب الذي أجريت المقابلة معه؟

ـ لم يعد موجوداً معنا.

رمشت فران عينيها ذهولاً، وصاحت قبل أن تستطيع منع نفسها: «تعني أنه أُرسل إلى دير آخر؟».

ـ لا يمكنني القول.

واقشعر جلدها بشكل كريه: «بالطبع لا. . عنيت فقط أنني أصبت بخيبة أمل لأنني لن أستطيع شكره شخصياً لكل مساعدته».

ـ سأمرر الرسالة له.

ـ شكـ. . شكراً لك. . وداعاً.

ـ وداعاً.

أسرعت فران إلى السيارة وهي ترتجف للخبر، لكنها لم تدر المحرك على الفور.

كان الإحساس بالخسارة صاعقاً جداً.

بقيت فران غاضبة من نفسها إلى أن سافرت إلى لوس أنجلوس، بعد يومين. كيف تسمح لذكراه بأن تتدخل بعملها؟

لن تكون هذه الرحلة مغامرة كبيرة فقط، بل إنها مهمة لمستقبلها العملي. ولن تعرّض عملها للخطر بسبب راهب لا يحق لها أن تفكر به.

وهي ترافق الفرقة الموسيقية إلى لوس أنجلوس لإقامة حفلة، شعرت بأن الإثارة معدية حقاً.

كانت فران من المعجبين بالفرقة الفولكلورية التي يعود تاريخها إلى مئة وخمسين سنة. وقد حضرت عشرات الحفلات التي أقيمت في بلدتها. .

www.elromancia.com

وأصغت لسنوات للبرنامج العالمي الذي يذاع يوم الأحد، وتعرف تحضيراتهم جيداً. . وكان هناك أغانٍ محددة تثيرها، وأخرى تدفعها إلى البكاء.

لكن، أغنية محددة كانت تجعلها تبكي مع المستمعين. بعد ذلك يسود صمت قبل أن يقف الجميع في تصفيق راعد. بالنسبة لفران، ذلك الصمت المليء بالرهبة، برهان على الترحيب الخالص، أكثر من أي شيء آخر.

هذه الليلة، ستكون مستعدة لالتقاط التعابير الجذلى المرتسمة على وجوه الحضور. فالصورة المناسبة خير معبّر.

وهي ترغب أن تجد هذه الصورة التي تختصر سحر الليلة. . وبارني يعتمد عليها، فلو نجحت، ستنشر الصورة على غلاف مجلة «بيهايف» وهذا إنجاز لم تستطع حتى الآن تحقيقه. . لكن ربما ستفعل هذه المرة.

جاءت الأغنية التي كانت تنتظرها بعد الاستراحة. وحصلت على إذن بتحضير معداتها قرب الفرقة الموسيقية بحيث تحصل على لقطات أمامية بعدساتها المقربة.

دخل قائد الفرقة إلى المنصة، ورفع عصاه. وبعد أن ساد الصمت بدأ المغنون ينشدون أغنية مؤثرة، فاخترقت الموسيقى روح فران وروح كل من كان يصغي.

راحت تلتقط للجمهور صورة بعد صورة. . إلى أن عثرت على وجه يتوهج فرحاً. . . ولم يكن من كلمات تصف هذا المشهد.

إنها امرأة مسنّة، رمادية الشعر وقد ارتسم على قسمات وجهها تعبير رائع.

كانت الدموع تنهمر على خديها المتوردين، وعيناها مسحورتين بالموسيقى.

ابتلعت فران ريقها بشدة، والتقطت لها صوراً متواصلة. . لم يعد من حاجة للتفتيش في مكان آخر. فقد أحسّت أن هذه المرأة هي التي كانت تأمل

أن تجدها بين الحضور. . المرأة التي تعكس مشاعر كل من حولها.

ربما ستجد فران موضوعاً بمثل هذه الروعة في أوستراليا، لكنها تشك. فاللحظة كانت مجرد خيال مضيء. . وأحست بالشعر الناعم على مؤخرة عنقها يقشعرّ.

تلهفت أن تنتهي الحفلة الموسيقية، لكي تستطيع الاقتراب من المرأة، فلا بد من قصة خلف ذلك الوجه. وأرادت فران أن تحصل عليها، ليس من أجل المقال فقط بل بدافع الفضول.

قالت المرأة التي كان وجهها لا يزال مبلّلاً بالدموع: «إنها بالروعة التي أذكرها منذ كنت في المانيا».

ـ وهل سمعت الفرقة هناك؟

ـ أوه. . أجل. . منذ سنوات عديدة. . حين كنت فتاة صغيرة تكبر في برلين الشرقية. ولقد قالت لي أمي، إنني لو أتيحت لي الفرصة يوماً، يجب أن أهرب إلى مكان أستطيع فيه أن أكون حرة في أن أعبد الله. . ولم أعرف يومها ماذا تعني.

صمتت المرأة قليلاً تتذكر: «وبعد سنوات كثيرة، جاء الفرج، وهربت مع عائلتي إلى فرانكفورت. وهناك سمعت الفرقة مرة أخرى. . يومها وجدت إيماني بالله».

وهزت رأسها: «لا يمكنك أن تتصوري كيف كان هذا».

لكن فران كانت تستطيع أن تتصور، حتى أنها التقطت صورة المرأة، وهمست لها: «شكراً لك لمشاركتي بهذا. أنا أعمل لمجلة في «أوتاه» وكنت ألتقط الصور الليلة، والتقطت بعض الصور لك. . فهل تأذنين لي باستخدامها مع قصتك؟».

ابتسمت المرأة: «بالطبع».

تمتمت فران: «شكراً لك».

وراقبت المرأة وهي تنضم مجدداً إلى عائلتها وتشق طريقها ببطء نحو

www.elromancia.com

الممر.

استدارت فران بعينين مبللتين بالدموع لتتجه في الطريق الآخر، ولتجد نفسها وجهاً لوجه مع رجل كان يمكن أن يكون توأم الراهب، ما عدا أن شعره أطول ويرتدي بذلة وربطة عنق.

ألم تقرأ في مكان ما أن من الشبه يولد أربعون؟

أشاحت بعينيها وحاولت أن تتجاوزه، بعد أن غضبت من نفسها لتحديقها به.

ـ آنسة مالوري؟

وجمدت فران في مكانها.. ذلك الصوت.

ـ إذا كنت تخشين أن أكون عدواً.. أؤكد لك أنني لست كذلك.

استدارت، مشوشة غير مصدقة: «حين أخذت المجلات إلى الدير، قال لي أحد الرهبان إنك لم تعد هناك. ولم يكن لدي فكرة أنك جئت إلى لوس أنجلوس».

ـ لقد غادرت الدير في اليوم التالي لزيارتك.

تسارع نفسها.

ـ لا أستطيع القول إنني مندهشة، فأنت لم تكن تبدو مناسباً في الدير.

التوت شفتاه: «أنت محقة في هذا».

مرة أخرى أضعفتها صراحته.

ـ وهل هربت؟

هز رأسه قليلاً: «إذا جاز التعبير».

صاحت بصوت منخفض: «وهل يستطيع الراهب أن يفعل هذا؟ أعني أليس هناك شكليات محددة يجب أن تمر بها إذا أردت ترك الرهبنة؟».

ـ شكليات عديدة، بما فيها التماس الإعفاء من «البابا» في روما.

ـ وهل.. هل تم حرمانك كهنوتياً؟

ـ ليس حسب علمي.

كان معظم الناس قد بدأوا يغادرون المكان، وهذا أمر جيد. وإلا لكان الجميع لاحظ صدمتها.

ـ وهل تتعذب بسبب قرارك؟

مال برأسه قليلاً: «وهل أنت قلقة على روحي الفانية؟».

يمكنها تحمل أي شيء ما عدا سخريته.

ـ بطريقة ما.. أجل! فبعد الطريقة غير المعتادة التي عاملتني بها حين جئت للمرة الأولى إلى الدير، لم أستطع أن أفهم كيف يمكن أن تعيش هناك.

ـ إذن.. لقد فكرت بي.

لمعت عيناها: «أنت تحرّف كلامي».

ـ أنا متأثر لأنك اهتممت.

لم تعد فران قادرة على تحمّل المزيد.. واضح أن الرجل متألم، لكن لا دخل لها في هذا. وتمتمت:

ـ أنا آسفة. لقد أكثرت من الكلام، وهذه إحدى سيئاتي.

ـ لكنني أجد هذه السيئات منعشة.

ابتلعت ريقها بقوة: «لم يكن من حقي قول هذا لك، فأنا لا أعرف شيئاً عنك أو عن حياتك. لكنني دهشت لرؤيتك هنا من بين كل الأماكن».

ـ ألم تعتقدي أنني يمكن أن أعجب بحفلة موسيقية مثل هذه؟

ـ بالطبع لا. فالأناشيد الغريغورية التي سمعتها في الدير، كانت من أجمل الموسيقى التي سمعتها، لكنني لم أقصد هذا.

ـ ماذا قصدت إذن؟

ـ بالتأكيد لست مضطرة أن أشرح لك.. كلانا موجود في لوس أنجلوس في الوقت ذاته.. ومن الغريب أن نلتقي هنا.

ـ كنت أفكر بالشيء ذاته حين رأيتك تتحدثين إلى جيردا.

شهقت فران: «أتعرفها؟».

ـ لقد التقينا منذ زمن بعيد.. وحين عرفت أنني سأكون في لوس

www.elromancia.com

أنجلوس دعتني هي وعائلتها لأسمع أداء الفرقة معهم.

تفرس في قسمات وجهها، فارتعدت ساقا فران بحيث كادتا تخونانها.

وسأل: «كيف حدث وتكلمت معها من بين كل الناس؟».

ـ أنا هنا في مهمة للمجلة لأغطي رحلة الفرقة إلى أوستراليا.. كما أنني سألتقط صور الوجوه التي تعبر عن روح أداء الفرقة. والليلة، وجدت ما أبحث عنه في تعبير صديقتك. ولحسن الحظ، أعطتني الإذن لاستخدام الصورة.

بدا وكأنه يفكر بكلماتها، ولم تستطع سوى أن تتساءل عما يفكر فيه لينظر إليها بمثل هذا الوقار.

ـ كنت محظوظة إذن. إنها شخصية مميزة.

تساءلت فران في نفسها أين يمكن أن يكون قد التقى بالمرأة المسنة، وفي ظل أي ظروف.. كان الفضول يتآكلها لتعرف أي شيء له صلة به وبحياته.

ـ وشعرت بهذا كذلك.

ـ ستسافرين غداً إلى سيدني؟

ـ أجل، حيث ستكون أول محطة للفرقة في أوستراليا.

ـ ستعجبك.

ـ وهل زرتها من قبل؟

ـ أجل.

وحين لم يضف شيئاً، قالت: «هل تعيش الآن في لوس أنجلوس؟».

ـ لا.

ما كان يجب أن تسأل. فهو راهب، وعلى الأرجح ليس من المسموح له أن يناقش أموره الشخصية، وإن خارج الدير.

وعاد إليها ذلك الإحساس بالخسارة، أقوى من قبل.

بدأت تتحدث بسرعة، لتغطي الفراغ المتزايد الذي تشعر به: «أنا أتشوق لزيارة «بريزبن».. لقد سمعت أن الشواطىء لا زالت بدائية، وأن

غابة المطر مذهلة».

ـ كل هذا صحيح. لكن مهما فعلت، إبذلي جهدك لزيارة الحيد البحري العظيم، أو ما يسمى «غرايت باريير»، إنه منظر رائع.

تنحنحت: «هذا ما قيل لي.. لا بد أن يكون العالم بالنسبة لشخص عاش حياة ناسك مكاناً مذهلاً».

ـ أوه.. إنه كذلك. ولن يكون مذهلاً أكثر الآن.

مع أي رجل آخر، كان يمكن أن تأخذ التعليق على صعيد شخصي.. لكن هذا الرجل راهب، لا يزال هارباً من شيء لم يستطع التكيف معه.. ومن بين العديد من الأحاسيس التي أثارها، بدا أن تعاطفها معه هو في الطليعة.

قالت: «أدعو الله أن تجد في النهاية ما تبحث عنه».

رفع حاجبه الأسود: «هل أنت ممن يؤمنون بالأدعية؟».

أخذت نفساً عميقاً: «مجرد تشبيه».

ـ إذن أنت لست مؤمنة.

ـ لم أقل هذا.

ـ ماذا كنت تحاولين القول إذن؟

لقد اكتفت من هذا الاستجواب.

ـ أنا لست في مأزق روحي هنا.. وأريد أن أذهب، الباص ينتظرني. الوقت يداهمنا وعلينا أن نذهب إلى المطار.

تمتم: «وداعاً مرة أخرى، استمتعي برحلتك».

بادلته الوداع بصوت هادىء قبل أن تستدير على أعقابها وتغادر... وكان لديها إحساس رهيب بأنهما لن يريا بعضهما بعد الآن.

وماذا كنت تتوقعين؟ هل ظننت حقاً أن راهباً في ورطة قد يطلب منك قضاء بعض الوقت معه؟

لماذا أنت مندهشة فرانسيسكا مالوري؟ لماذا أنت متألمة؟

www.elromancia.com

ماذا من الممكن أن تعني له، أو يعني لك؟ ألا تعرفين أنك غبية.. حمقاء غبية؟ كم مرة يجب أن تكرري هذا في رأسك قبل أن تفهمي؟

***

٣ ـ لن أمحو رسمك

ـ أخيراً هذا منظر يسرّ العين.

كان جيمي بينغ وهو أحد البحارة، يعيش في لوس أنجلوس. وكانت عائلته بين الجمع بانتظاره. من الواضح أنه يعشق دياره تلك.

لكن أندريه كان له رأيه. لقد أبحر إلى العديد من الموانىء في حياته. لكن، من بينها كلها، كان ميناء سان بيدرو هو الأحّب على قبله، ربما لأن ضباب أوائل أيلول كان يغطي لوس أنجلوس، كسحابة فوق المدينة.

ـ أين هو موطنك يا أندريه؟

ـ لقد ولدت في نيوأورلينز.

ـ لكن ليس لديك لكنة جنوبية متشدقة.

ـ لقد غادرتها في سن مبكرة.

ـ باسم مثل اسمك، ظننتك من «كيبيك».

ـ اسم كاسمي؟

ـ أجل.. بينيت.. قبل أن أتزوج وأنتقل إلى لوس أنجلوس كنت أعمل في الخطوط البحرية في سانت لورانس.. أحد البحارة كان كندياً، له اسم عائلتك.

ـ لذا ظننتني كندياً؟

ـ لا أعرف. أنت لم تختلط يوماً بهم، أنت متوحد مثلي أنا.. هل ستذهب إلى ديارك لفترة ما؟

www.elromancia.com

دياري؟ وأين تكون؟

لم يزعجه السؤال من قبل. لكن، منذ راقب جثمان أبيه ينخفض تحت التراب على أيدي الرهبان الذين خدمهم، أراد أن يعرف أكثر عن هويته... وكانت هذه الرغبة تنهشه.

ـ سأعود مرة أخرى إلى ألاسكا.

ـ ومتى من المفترض أن تعود السفينة إلى هناك؟

ـ بعد يومين.

حمل جيمي كيسه الكبير على كتفه: «حسن جداً. إذا كنت لا أستطيع إقناعك بالمجيء معي، إذن، من الأفضل أن أذهب أنا، فزوجتي والأولاد بانتظاري».

واشتعلت عيناه بالحياة والترقب.

ـ لقد كان من دواعي سروري العمل معك يا أندريه.

هز أندريه رأسه: «لقد استمتعت بصحبتك.. حظاً سعيداً يا جيمي».

كان جمع غفير ينتظر وصول السفينة. لكن أندريه أبقى عينه على جيمي الذي نزل السلم.

رأى أندريه من مكانه امرأة جميلة حمراء الشعر تمسك بيدي ولدين، وكانوا جميعاً يركضون نحو جيمي، وما لبث أن سمع صراخ فرحتهم، عندما ترك جيمي كيسه وعانق عائلته.

واستطاع أندريه أن يشعر بسعادتهم. لم يجسد شخصاً من قبل مثلما يجسد جيمي في هذه اللحظات.. وغشت الصورة، وفجأة سمع أندريه والده يتكلم.

«أنا لست متعلقاً بالدنيا يا بني. لا أستطيع أن أترك لك مكاناً أو مزرعة، فأنا لا أملك شيئاً. لكنني أستطيع أن أعطيك مكاناً هادئاً يمكنك المجيء إليه لتكون لوحدك.. لتفكر. أنت لم تجد بعد معنى لحياتك في أسفارك، ربما في يوم ما ستجده هنا. عندئذٍ ستتمتع بالهدوء الذي كنت

تبحث عنه».

عبس أندريه متألماً، ثم أمسك بكيسه القماشي وأسرع إلى اليابسة.

شيء واحد كان مؤكداً. لقاءه الآنسة مالوري في مسرح هوليود منذ شهرين لم يساعده أبداً، لا بل كان يزعجه، فقد جعلته يشعر بالذنب لعدم مبالاته.

في المناسبات السابقة التي رآها فيها، كان معذوراً إن لم يقل لها الحقيقة. وكان هذا منطقي جداً... لكن الأمر مختلف الآن.

ربما هدوء الدير وأمانه هما بالضبط ما يحتاج إليه ليستجمع أفكاره.. لا يلزمه سوى ساعة في الطائرة ليصل إلى «بحيرة الملح» وهناك سيمنحه الرهبان ما يحتاجه من عزلة.

فالمستوحد بنظر البحّارة يتسبب بالانقسام في المجموعة عن غير قصد، والانقسام يخلق التوتر والأخلاق السيئة بين أعضاء الطاقم.

لذا لا بدّ له من أن يبتعد.

بعد سبع ساعات كانت الشمس البرتقالية الحارقة، قد هبطت في بحيرة الملح العظيمة، وكان أندريه يقود سيارته المستأجرة عبر البوابة المؤدية إلى الدير.

ارتفع رنين الأجراس من برج الكنيسة ليخترق سكون الحدائق والبساتين. وكان صوتاً جميلاً، ولو أنه حزين قليلاً. لكن هذا بنظر أندريه الذي كان ينظر من الخارج... فالرهبان الذين يعيشون فيه لا يرغبون في شيء.. وكل قانع بما هو عليه.

كان أندريه مجرد زائر لا ينتمي إلى هذا المكان. لكن بسبب حادث الولادة، اكتسب الحق بأن يأتي إلى هنا ويذهب كما يحلو له.

كان هواء الليلة الدافئة عابقاً برائحة حلوة، عندما ركن سيارته.

شد حبل جرس الباب، فاستقبله أحد الإخوة بحرارة وقال له إن بإمكانه استخدام الغرفة التي شغلها في المرة السابقة.

بدت غرفته تماماً كما تركها. ما عدا شيء واحد. لقد ترك أحدهم مجلة على المنضدة إلى جانب الكتاب المقدس.

وضع كيسه جانباً ومد يده إليها بفضول «مجلة بيهايف جواز سفري إلى عجائب أوتاه».

فتح الغلاف، وفتش في الفهرس.. فرانسيسكا مالوري.. وخفق قلبه بشدة.

غاص في السرير الضيق، وراح يتصفحها إلى أن وجد المقال عن الدير.. لكن النسخة الأولى التي قدمتها له لم تفِ المقال حقه.

فقد رأى صفحة كاملة، صورة بالألوان لوالده، الأب الرئيس أمبروز... الصورة ذاتها التي يحملها في كيسه.

وعلقت غصة في حلقه.

قرأ كل كلمة في المقالة عدة مرات.

وفكر بالأمر.. مئات الملايين من الناس عاشوا وماتوا عبر القرون، وما من أحد عرف قصتهم يوماً. مع ذلك، آلاف من الناس قرأوا هذا المقال الذي شهد للعالم أن والد أندريه، قام بعمل مميز على الأرض وقام بمساهمة جديرة بالذكر.

تعاظم في صدره إحساس بعرفان بالجميل لصاحب المجلة، وللمرأة التي كتبت المقال بالرغم من فظاظته معها في البداية، وشعر بالحزن يغادره وبأن روحه باتت خفيفة كالريشة، فأخذ دوشاً ثم آوى إلى الفراش. وإذ عرف أنه لن يغفو قبل وقت طويل، أخذ المجلة ليقرأ المقالات الأخرى باهتمام كبير، خاصة الرواية المذهلة عن الديناصورات. لكن مقالة فرانسيسكا مالوري عن مستعمرة «كلاريون» هي التي أسرته.

لقد جال أندريه العالم كله.. ورأى أكثر من معظم الناس الذين يعرفهم. لكن ثقافته كانت مهمة في مجال واحد. فهو لم يسافر ولم يعمل ضمن أراضي الولايات المتحدة، باستثناء موانىء «نيوأورلينز» و «نيويورك»

و «لوس أنجلوس».

لذا، لم يكن لديه أي فكرة عن وجود ثقافات غنية متنوعة في الولايات المتحدة.. ومقالة فرانسيسكا عن هنود «ناڤاغو» أسرته حقاً، ولاحظ أنها دائماً تجد ما يضفي على مقالاتها الحياة والسحر.

أطفأ المصباح وهو لا يزال مشدوهاً. وقبل أن يغمض عينيه لينام، خطر له أنها لو كانت معه في رحلاته، لجنت ثروة من الكتابة لعدد من المجلات العالمية التي ستتلهف على كل ما ترسله وتتوسل للمزيد.

عليه أن يذهب في الغد إلى المتجر ليشتري بعض الحاجيات، ومن دون شك آخر عدد من مجلة «بيهايف»، أو على الأقل بعض الأعداد الأخيرة، التي قد يجدها على الرفوف.

موهبتها نادرة مع الكلمات وآلة التصوير. وكان متحمساً لرؤية المقالة التي أرسلت من أجلها إلى أوستراليا لتغطية رحلة فرقة «تابرناكل».

الحفلة الموسيقية في مدرج هوليود كانت متقنة.. الموسيقى والكلمات أثرت به إلى درجة الاضطراب.. وأحس أن التجربة ذاتها حدثت لها.

لم تكن المرة الأولى التي يفكر فيها في المصادفة الغريبة التي جمعتهما في لوس أنجلوس. لقد كاد قلبه يخونه حين استدار في مقعده ليراها تتحدث إلى جيردا. لقد ظهرت فجأة في الممر بين المقاعد وبدت رائعة بشعرها الذهبي وفستانها الأزرق الذي يحتضن جسمها الرشيق.

أنوثتها خطفت أنفاسه منذ رآها.. وهذا ما لم يتغير. بل إن مشاعره نحوها تعاظمت إلى درجة أنه أدرك أن عليه فعل شيء.. فهذه الحالة من الحذر بينهما لا يمكن أن تستمر أكثر.

* * *

سمعت فران اسمها عبر الجهاز: «فراني؟ هل يمكن أن تأتي إلى مكتبي لدقيقة، أرجوك؟».

وبدا بارني جاداً جداً.

ـ أجل.. بالطبع.. سأحضر في الحال.

وعندما نهضت، رفع باول رأسه: «إلى أين أنت ذاهبة؟ كنت على وشك أن أقرأ لك هذا لتعطيني رأيك».

ـ الرئيس يريد رؤيتي.

ـ حسن جداً، لا تثرثري كثيراً هناك.

ـ أثرثر؟

ـ هذا صحيح، فهذا ما تفعله النساء عادة.

ـ سأقدم لك معروفاً ولا أخبرك ماذا يفعل الرجال.

أحنى رأسه، يغطي وجهه بذراعيه: «باركك الله يا طفلتي».

كان باول من الرجال القلائل الذين يعرفون رأيها بالرجال، ولم يحاول يوماً تغيير رأيها، وهي تحبه لأجل هذا.

ـ سأراك بعد قليل.

وخرجت مسرعة من غرفتها المربعة الصغيرة نحو الجهة الأخرى من المكتب. قرعت على باب مكتب بارني ودخلت.

ـ ماذا كنت تريد..

لكن بقية السؤال علق في حنجرتها لأن بارني كان لديه زائر.

كانت فران قد أحست بأنها على وشك الإغماء مرة واحدة. ليلة ظهر لها الراهب في الحفلة الموسيقية في لوس أنجلوس، ولم تعتقد أنها ستراه مرة أخرى.

ـ فراني؟ هل أنت بخير؟

وغاصت في أقرب كرسي، من دون ترك نظراتها الراهب لحظة واحدة. كانت عيناه البنيتان القاتمتان أجمل ما رأت يوماً في رجل.

إنه رجل وسيم جداً.. هذا ما فكرت به منذ وقعت عيناها عليه في محل التذكارات في الدير.

راحت تتأمل كنزته النبيذية وجسمه القوي، وبشرته السمراء القاتمة،

وسواد شعره. كان جو غريب يحيط به، ما جعله أكثر غموضاً وحنكة.

سرت رعشة برد على بشرتها.

ـ لقد قال لي السيد بينيت إنكما التقيتما، ليس في الدير فقط، بل في لوس أنجلوس أيضاً.

بينيت؟ هل هو من فرنسي الأصل؟ قد يفسر هذا لون بشرته. لكن الفرنسيين ليسوا طوال القامة... أليس كذلك؟

ـ هذا صحيح يا بارني.

وحين ساد صمت طويل، ارتسمت على وجه بارني تلك النظرة التي تعبّر عن سخطه لردها المختصر.

ـ أراد شكرك شخصياً للمقال الذي كتبته عن الأب أمبروز، وعمله في الدير.

ـ ما كنت أستطيع فعل هذا لولا مساعدة السيد بينيت.

وتساءلت في سرّها عن التفسير الذي يمكن أن يكون الراهب قد أعطاه لبارني حول وجوده في الدير في حين لم يقدم نفسه كراهب.

مال الراهب إلى الأمام في كرسيه: «أنا لم أعطها سوى بضع حقائق.. ولقد حولتها إلى قصة يفتخر بها كل أخ من الأخوة».

كان يتحدث إلى بارني.. لكن عيناه بقيتا شاخصتين عليها.

وهمست: «شكراً لك».

مرر بارني يداً ساخطة في شعره. إنه منزعج منها.. لكنها لا تستطيع أن تقول له لما انعقد لسانها هكذا. لا تستطيع القول لأحد.

ـ لقد كان السيد بينيت يتغنى بصورة غلاف عدد أيلول. من الواضح أنه يعرف السيدة الألمانية، ومعه عنوانها. ويجب أن يرسل لها نسخة من المجلة.

قال الراهب: «نسخة موقعة آنسة مالوري.. حين سترى جيردا نفسها في الصفحة الأولى وتقرأ ما كتب عنها في المقال حول «غناء الملائكة» كما

www.elromancia.com

تسميهم، ستشعر بالسعادة».

- يسرّني أن أوقع لها نسخة.

كان بارني في هذه اللحظات يحدق بها مشدوهاً بطريقة ما، بسبب نقص حماسها الطبيعي.

نهض عن كرسيه واتجه نحو الباب.

- سأحضر لك ست نسخ لتوقّعيها فراني.. بهذه الطريقة ستتمكن المرأة أن تعطيها لعائلتها وأصدقائها.

ما أن غادر بارني الغرفة، حتى أعطاها الراهب نسخة من المجلة التي يحملها.

- وجدت هذه في غرفتي في الدير ليلة أمس.

وقلّب الصفحات إلى أن وصل إلى المقالة عن الأب أمبروز: «أودّ أن توقعيها تحت اسمك. أرجوك أن توقّعيها يا فرانسيسكا، ووجّهي الرسالة إلى العزيز أندريه».

أندريه.. الأب أندريه بينيت.. هل هكذا يناديه الرهبان؟

وضعت المجلة على طاولة بارني بيد مرتجفة وأخذت قلماً.. ومن دون قصد منها، لامست ساقها ركبته. فأحست كأن صاعقة ضربتها. وبسرعة ابتعدت عنه.. وإذا كان هو قد شعر بالحركة العنيفة التي قامت بها، فهي لم تلاحظ، لأنها ترفض الاعتراف بالأمر.

لحسن الحظ، عاد بارني إلى الغرفة حاملاً كومة من المجلات، ليكسر التوتر السائد بينهما.

- هل هناك شيء خاص تريدني أن أكتبه لصديقتك إضافة إلى اسمي؟

كانت لا تزال تجلس وراء المكتب، على استعداد لإنهاء التوقيع، ثم المغادرة.

استند الراهب إلى الوراء في كرسيه، بتلك الرشاقة الرجولية غير الواعية التي لاحظتها وهما يسيران في البستان.

- بما أن لديك ست مجلات هنا، اكتبي واحدة لجيردا، وأخرى لابنها هاريف، وأخرى لحفيدها رينكي، وواحدة لكنّتها لورڤيكا، ولحفيدتها آديلايد.. أوه.. أجل، ولشقيق جيردا، كورت.

اشتد ضغط فران على فمها: «أخشى أن تضطر إلى تهجئة كل اسم على حدة».

- طبعاً.

سأل بارني: «هل ترغب في شيء تشربه يا سيد بينيت؟ لدينا قهوة، ومرطبات، وعصير».

- لا شيء.. شكراً سيد كينسال.

- وماذا عنك فراني؟

- لدي زجاجة عصير على طاولتي. شكراً على أي حال يا بارني.

طوال وقت توقيعها للمجلات، وإصغائها لتعليمات الراهب، كانت تشعر بنظرته الثابتة عليها، تتفحص وجهها وجسمها. وعلى الرغم من أن كنزتها وتنورتها كانتا محتشمتين تماماً، إلا أن مراقبته لمفاتنها الأنثوية جعلتها تشعر بالإحراج، وكانت تعرف أن وجهها يزداد احمراراً.

- هاك.

ورفعت رأسها ترسل ابتسامة إلى بارني: «لقد انتهيت. والآن لو عذرتماني، لدي موعد عند الساعة الثالثة.. سررت بلقائك مجدداً يا سيد بينيت».

واتجهت إلى الباب، وركضت إلى طاولتها.

- يا للسماء.. ماذا حدث لك؟

دعكت مؤخرة عنقها: «ليس الآن يا باول.. أشعر بصداع».

- لا يمكن أن يكون قد طردك.

- لا.. أبداً.

- لقد سبق وأعطاك زيادة في الراتب.. فماذا هناك غير هذا؟

www.elromancia.com

ـ ستندهش.

ـ مهما كان الأمر.. ستتغلبين عليه.

ـ أعرف.. سأتغلب على المسألة.

يجب أن أتغلب عليها.

ربما كان معظم الرجال في العالم سيئين. لكن، بالمقارنة مع هذا الراهب الذي هرب من نذره فهم قديسون.

مهما كان جذاباً، لم تنتظر فران ثماني وعشرين سنة، لتهوى راهباً منحرفاً اعتزل العالم لفترة طويلة دون امرأة.

لقد أحست بنظرته تجول عليها الآن. ولقد كانت نظرة شخصية جداً وحميمة.

ربما لقاؤه بها في الدير، تسبب له بالتساؤل عما إذا كان يقدر حقاً أن يستغني عن النساء.

شعرت أنها يجب أن تفضي بما في نفسها إلى باول وتأخذ رأيه. لكنه على الأرجح سيهزأ بها ويقول إنها تتوهم ليس إلاّ.

لو لم تلتق بالراهب في لوس أنجلوس لكان كل شيء الآن على ما يرام.

شعرت فران أن الموقف كله هو غلطتها في الواقع.. فبسبب انجذابها له، عادت إلى الدير حين لم يكن الأمر ضرورياً.. وعرف الراهب هذا!

كان يمكن لها أن ترسل باول مع النسخ التجريبية.. والراهب يعرف هذا أيضاً!

الراهب الآخر الذي أخذ منها المجلات مرر رسالتها. وإذا كان قد فعل، فلا عجب أن السيد بينيت، أو كائناً من تكون حقيقته، شعر بالجرأة الكافية ليسعى إليها، معتقداً أنها تبادله مشاعره.

وهنا تكمن مشكلتها.. أو جزء منها.

كان بارني قد قال لها يوماً، إنها تذهب إلى حيث لا تجرؤ الملائكة.. ولهذا أصبحت صحافية جيدة.

حسناً ولكنها تتمنى هذه المرة لو يتركها وشأنها... ولكنّ هذا كله مجرد كذب لأنها في أعماقها تشعر بالسعادة لأنه جاء إلى المكتب سعياً وراءها.

يا للسماء.. لقد عاد إلى «بحيرة الملح».. لكن إلى متى؟

ـ فراني؟

وقفزت مجفلة.. فصوت رئيسها في الجهاز أعادها إلى الواقع بسرعة. لقد غادرت مكتبه منذ دقائق فقط.. هل لا يزال الراهب هناك؟ واستدارت إلى باول برعب.

ـ إسدِ لي معروفاً، وانظر ما إذا كان بارني لوحده في المكتب. لا تقل شيئاً.. تأكد فقط، ثم عد وقل لي.

رفرف عينيه: «حسناً».

بدا لها أن دهراً قد مرّ قبل أن يعود، منزعجاً: «ماذا يجري؟ هل الرئيس متكدر».

عضت شفتها: «هل هو لوحده؟».

ـ أجل..

ـ شكراً باول.. أنا مدينة لك.

ـ ما رأيك بتفسير؟

ـ ربما فيما بعد.

ـ سألزمك بهذا.

حين دخلت مكتب بارني، نظر إليها من دون أن ينبس ببنت شفة.

قالت بارتباك: «أعرف أنني كنت فظيعة، لكن لدي عذري».

ـ أتعرفين ما هي مشكلتك.. أنت لا تحبين الرجال.

ـ لكنني أحبك، وأحب باول.. وعمي دونالد..

ـ لا تحاولي تحريف كلامي.. رأيت بالضبط ماذا جرى في هذه الغرفة.. في اللحظة التي يقترب فيها رجل منك، تهربين في الاتجاه المعاكس.. لكنك هذه المرة تركت مخاوفك تتدخل في احترافك.

www.elromancia.com

أخذت نفساً عميقاً: «كما قلت لك.. لدي عذري».

ـ أود أن أسمع أعذارك، اجلسي.

أطاعته، ثم تمتمت: «أعتقد أنني واقعة في مشكلة».

بدا وكأنه أصيب بضربة: «لا تقولي لي إنك سوف..».

صاحت: «لا! ليس هذا نوع المشكلة التي أنا فيها».

ـ الحمد لله.

ـ لقد بدأت المسألة كلها حين مرض باول وطلب مني الذهاب إلى الدير بدلاً منه من أجل تلك القصة.

ولفترة وجيزة من الزمن، جلس بارني يصغي من دون أن يقاطعها.

وبعد أن قالت له كل شيء، تراجع إلى الخلف في كرسيه، وأخذ ينقر بنظارة القراءة على طاولته.

ـ أنت امرأة جميلة يا فراني.. وما من رجل يستطيع مقاومة سحرك، ولا حتى الراهب.

ـ لقد قال لي باول الشيء ذاته.

ـ هذا لأنه صحيح.

لم يكن تعليقه متوقعاً.

ـ شكراً للإطراء يا بارني. لكن، يجب أن تعترف أن هذا موقف خطير.

ـ أتعنين لأنه راهب؟ لن يكون أول رجل في ثوب الكهنوت يفعل هذا، وبكل تأكيد لن يكون الأخير.. أتعرفين ماذا أظن؟

أحنت رأسها: «ماذا؟».

ـ أظنك مهتمة لأمره.. وأظن كذلك أنك مصدومة من نفسك لأنك وقعت في حب رجل غامض يجسّد كل ما يجعلك تخافين الرجال.

ـ أنا لم أقع بحبه يا بارني.

ـ حسن جداً.. بدا لي أنه يبادلك الافتتان ذاته، والحقيقة، أنه لم يستطع إبعاد عينيه عنك.

من الطبيعي أن يلاحظ بارني كل شيء.

ـ أشعر أنني غبية.

ـ لأننا اكتشفنا أنك ضعيفة أمام رجل؟ أنا شخصياً مغتبط لهذا. لقد بدأ يبدو مثل أمها.

ـ أنا.. من الأفضل أن أعود إلى عملي.

ـ افعلي هذا. وإذا شعرت أنك بحاجة إلى حديث آخر معي، تعرفين أين تجدينني.

كتب اندريه بالألمانية: «عزيزتي جيردا. من بين كل الناس الذين حضروا الحفلة الموسيقية في لوس أنجلوس، اختارت المرأة التي كلمتك بعد الحفلة، صورتك لتضعها على غلاف المجلة.. واستخدمت قصتك في مقالتها. ذهبت اليوم إلى مكتبها لأحصل على هذه النسخ لك، ولتوقعها.. وأنا واثق أنك وعائلتك ستستمتعون بالمقال بقدر ما استمتعت أنا به.

«في الغد سأغادر إلى ألاسكا مرة أخرى وسأغيب لفترة، وإذا كان من الممكن أن أساعدك في شيء، ولأي سبب، اتصلي بي عن طريق الدير.

«اهتمي بنفسك، مع خالص حبّي.. صديقك.. أندريه».

طوى الرسالة فوق المجلات وأقفل العلبة وأعطاها إلى عامل البريد.. يستطيع الآن أن يغادر إلى المطار راضياً أنه رد جميل جيردا ولو بجزء بسيط لصداقتها له في سويسرا منذ سنوات، في وقت كان فيه في مزاج سيء جداً.

أما بالنسبة لفرانسيسكا مالوري، فقد عرف أنه حتى لو سافر إلى الطرف الآخر من العالم فلن يمحّى رسمها من ذاكرته. في الواقع، أصبحت الأسفار بعد أن تعرف إليها، لحظات عذاب لا تنتهي.

ولكن ربما في هذه الرحلة، سيتمكن أخيراً من إبعادها عن فكره.

***

www.elromancia.com

٤ ـ نسخة طبق الأصل

كان من عادة خادم رعية فران أن يقف في الفناء ليتحدث إلى أبناء رعيته.

لم تحضر فران أياً من عظاته منذ أسابيع، ربما لأنها باتت تفضل أن تشغل نفسها كي لا تفكر. فالكنيسة تجعلها تغرق في التفكير.. وحين يحدث هذا، كل الطرق تقودها إلى رجل واحد: أندريه بينيت.

لم يظهر له أثر منذ جاء إلى مكتبها. وكان يجب أن تبتهج، وقد مرت الآن ثمانية أسابيع من دون أن تسمع خبراً عنه.. لكن ذلك الشوق لم يكن يفارقها.. بل كان يسيطر على أفكارها كلها، في يقظتها وفي أحلامها.

على بعد أمتار قليلة من فران، كانت ايملي ويلكوكس تتحدث مع خادم الرعية.. وهي طبيبة نفسية في مستشفى الجامعة. خلال الأسابيع الأخيرة، كانت فران تفكر في الاتصال بها لكنها لم تنفذ ما فكرت به.

ماذا ستقول لها؟

«دكتورة.. لا أستطيع التخلص من شعور ينتابني نحو راهب متنسك يجعلني أضطرب، رجل ربما لن أراه مرة أخرى، رجل يناضل في سبيل إيمان يختلف عن إيماني».

هزت فران رأسها باستخفاف بنفسها.. أنت منافقة فران. أنت لا تتمتعين بإيمان قوي مثل إيمان أمك الذي علمتك إياه منذ طفولتك.

ـ تسرني رؤيتك يا فران.. كيف حالك؟

ارتفع رأسها بحدة: «الأب باركر.. أنا بخير.. لقد استمتعت بعظتك كثيراً».

ـ شكراً لك لهذا... وأنا مسرور لمجيئك.. لوسيل وأنا سنقيم حفلة مفتوحة لابننا هوارد هذا المساء. ونريدك أن تأتي.

لم تستطع فران سوى التساؤل ما إذا كان هوارد لا يزال مغروراً كما كان. وكان لديها شعور أن والدها بدأ حياته بالطريقة عينها. زير نساء مغرور.. لهذا السبب بقيت بعيدة عن ابن باركر منذ سنوات طويلة.

كان هوارد يدرس الطب خارج البلاد، وأملت فران أن تكون الحياة قد علّمته الكثير.

ـ قالت لي أمي إنه أصبح الآن طبيباً.

تهلل وجه القسيس: «فعلاً.. لا شيء يسعدنا أكثر من عودته النهائية».

ـ هذا رائع، لا بد أنك فخور جداً به. بالتأكيد سأحضر.

وبالطبع، لا بد أن يكون تخرجه من معهد الطب قد زاد من تعجرفه. لا سيّما أنه أصبح طبيباً نسائياً.

ـ ممتاز.. سنراك في الحفلة إذن.

كان هذا آخر ما تفكر أن تفعله هذه الليلة. لكنها لا يمكن أن تكون فظة.. ومؤخراً، لم يعد شيء يروق لها. وقد بدأ هذا يقلقها.

لو لم يكن الوقت متأخراً، لحاولت اللحاق بالدكتورة ويلكوكس لتتحدث إليها. فعلى الأرجح، لم تكن المرأة قد غادرت موقف السيارات بعد.

لكن فران كانت مخطئة في افتراضها هذا. فقد اضطرت للتكلم مع بعض الأشخاص خارج الكنيسة، وبالتالي كانت سيارة الدكتورة ويلكوكس الخضراء قد اختفت.

انطلقت فران في سيارتها الصغيرة وهي تشعر بالضياع،.. ما زال

www.elromancia.com

أمامها أمور كثيرة عليها إتمامها في المنزل، لكنها كانت قلقة جداً. ربما نزهة في السيارة تفي بالغرض.

كانت العائلة مجتمعة لتناول عشاء يوم الأحد في بيت عمها. لكن فران فضلت الخروج هذه المرة، وفضلت أن تكون لوحدها، فهي عاجزة عن مواجهة سيل الأسئلة التي ستُطرح عليها.. ولو جاعت، ستأكل فيما بعد في الحفلة.

راحت تتنزه في السيارة لتجلي أفكارها. ومع بداية الخريف، لم تكن بحيرة الملح تبدو جذابة.

وجدت نفسها مرة أخرى تتمنى لو أن اليوم كان يوم عمل حافلاً بالمواعيد، فلا تضطر للتفكير بالراهب الذي استحوذ على أفكارها.

وعندما مرّت بالقرب من المفرق الذي يؤدي إلى الدير، زادت من سرعتها، رافضة حتى النظر في اتجاهه. وتساءلت ما إذا كان سيأتي يوم لن تعي فيه وجود الراهب في كل مرة تضطر فيها أن تمر من هنا.

بعد أن قادت مئتي ميل، ومرت بعدة أودية ضيقة، انتهى بها الأمر إلى حدود الولاية في أسفل الجبال، والتي تقود جنوباً، وكاد الوقود ينفد منها.

***

عند المفترق المؤدي إلى الطريق العام، اتجه أندريه شمالاً في سيارته المستأجرة ثم اتخذ المخرج التالي الذي أوصله إلى مركز تسوق صغير فيه مطعمان ومتجر، ومحطة وقود.

دخل المتجر المزدحم ليشتري صحيفة. ولحسن الحظ وجد نسخة واحدة، ففرح لأنه كان يظن أن كل الصحف قد بيعت في مثل هذا الوقت من النهار. وقف في الصف ليدفع ثمنها.. حين لمح شعراً.. امرأة كانت تقف على بُعد خطوات منه، ورفع رأسه ليراها بشكل أفضل.

كان شعرها الحريري مربوطاً إلى الخلف وكانت ترتدي بذلة كحلية اللون، وحذاءً جلدياً عالياً مماثل اللون. بدت من الخلف أنيقة، وفوق كل

شيء.. جذابة.. لكن إذا لم تكن الآنسة مالوري..

لم يكن راغباً في الانتظار حتى الغد لرؤيتها، أو الأسوأ من هذا، أن يكتشف أنها خارج مكتبها سعياً وراء قصة.

فجأة لمح جانب وجهها، ولم يستطع منع نفسه عن آهة منخفضة أفلتت منه. وبدأ الدم يضج في أذنيه.

اتجهت إلى الأبواب، فلحق بها، وقد رمى الصحيفة مكانها.. كانت تسير بسرعة، فسار بسرعة أكبر. ووصلا معاً إلى سيارتها المتوقفة في الجهة البعيدة من محطة الوقود.

ـ فرانسيسكا؟

شهقتها المسموعة أرضت أندريه. فقد عرف من بين أشياء أخرى، أنها لم تنسه.. والأكثر أهمية، أنها لم تكن لامبالية تجاهه.

استدارت تحدق به غير مصدقة.. أخيراً تمتمت: «ماذا تفعل هنا؟».

ـ كنت على وشك شراء صحيفة حين رأيتك.

كان لون عينيها الأخضر الشفاف بارزاً بحيث لم يستطع النظر إلى شيء آخر.

ـ يبدو أن الصدف تجمعنا باستمرار.

وأسعده تنفسها السريع: «ما إن تأكدت أنك أنت، حتى لحقت بك إلى خارج المتجر».

حين لم تقل شيئاً، أضاف: «يجب أن تعترفي أن هذه الصدفة ليست بأهمية لقائنا في لوس أنجلوس. فهذه المرة، لسنا سوى على أميال قصيرة من الدير».

نظرت إليه باستغراب، فأكمل: «لا يزال حدسي ينبئني أنك لا زلت تخشين أن تكون روحي معرضة للخطر، وأنني تخليت عن نذري».

الآهة الصغيرة التي أفلتت من بين شفتيها أكدت شكوكه، وساد صمت طويل قبل أن تقول: «تبدو لي إنك روح متململة، ومن الطبيعي لي

www.elromancia.com

أن أفترض أنك لم تقرر بعد ما إذا كنت ستبقى مع الاخوة أم تغادرهم إلى الأبد».

ـ أنا على وشك اتخاذ قرار نهائي.

تجهّم وجهها، وزاد الغموض في نفسها.

ـ أستطيع أن أتصور الصراع الذي يتنازعك.

ـ هذا إرث عائلي.

ـ ماذا تعني؟

ـ لقد عانى والدي المشكلة نفسها.

ـ لست أفهم.

ـ والدي كان راهباً.

رفعت يداً متوترة إلى عنقها: «والدك؟».

ـ أجل.

هزت رأسها: «لكن.. كيف ذلك؟».

ـ بالتأكيد لست مضطراً أن أشرح شيئاً بدائياً مثل التجاذب بين الجنسين، فهذا أمر يحدث، حتى للرهبان النساك ممن لديهم أفضل النوايا.

وواضح أن أمي كانت محنكة.

قالت بصوت هادىء: «أدرك هذا.. هل ما زالت أمك حية؟».

ـ لا.

ـ ووالدك؟

ـ لا.

أخفضت عينيها: «أنا آسفة».

ـ وأنا كذلك، فكل شيء يشير إلى أن الأب أمبروز كان رجلاً عظيماً.

تمسكت فران بمقبض باب السيارة لتسند نفسها، وقد عادت بها أفكارها إلى صورة الراهب في المجلة.

رئيس الدير أمبروز والد أندريه بينيت؟

وتذكرت أنه كان بميّ الطلعة.. والآن وقد عرفت علاقته بالرجل الفاتن الواقف أمامها، تساءلت لماذا لم تلاحظ الشبه في الحال.

«لأنك كنت تحاولين جهدك ألاّ تدعي صورة هذا الراهب في ذهنك أبداً».

ووبخت نفسها باشمئزاز، لأنها منذ لقائهما الأول، كانت ذكراه تطاردها على مدار الساعة.

ـ أنت تتكلم وكأن والدك كان غريباً عنك.

ـ بالرغم من كل شيء.. كان غريباً. لم يعرف أحدنا بوجود الآخر، إلى أن التقينا للمرة الأولى قبل أسبوعين من وفاته.. وخلال أربعة عشر يوماً، كان علينا التعويض عن فراق دام العمر كله.

مع ذلك، لم تفهم: «قبل أن تلتقي به، هل كنتما راهبين في ديرين مختلفين؟».

قال ساخراً: «تقريباً».

جمدت فران مكانها: «هل تعني أنك لست راهباً؟».

ارتسمت على ثغره ابتسامة ماكرة فعلت أشياء غريبة في داخلها.

ـ أتساءل عما إذا كانت الحقيقة أفضل لك من افتراضاتك الخاطئة عني.

أحسّت أنها لا تستطع تحمّل المزيد: «لو كانت خاطئة، فأنت الملام لأنك سمحت لي أن أفترض أموراً عارية عن الصحة. كان هناك عدة فرص لتشرح..».

ـ أربع فرص بالتحديد. لكنني لم أشعر أن الوقت كان مناسباً في أيّ منها، لأصحح ظنك.

لمعت عيناها بنار خضراء: «وفجأة أصبح الوقت مناسباً الآن؟».

تفحصها للحظات كادت تخطف أنفاسها: «أجل.. يبدو أنني لم أتمكن من إبعادك عن تفكيري».

www.elromancia.com

اعترافه كاد يجعل قلبها يقفز من مكانه.

- تعني بالرغم من كل جهودك؟

- شيء من هذا.. أجل.

لم تستطع فران مقاومة مثل هذا الاعتراف. وبجسم يرتجف، ابتسمت له ببرود: «أليس من حسن الحظ أنني لا أعاني المشكلة ذاتها».

- تعرفين أن هذا غير صحيح، وأعرف أنا كذلك.. إذا كنت تذكرين، كنت في المكتب ذاته معك ومع رئيسك. ولم يستطع سوى أن يعي وجود «التجاذب» بيننا.

أرعبها أن يتمكن أندريه دائماً من الإحساس بانجذابها إليه. وفتحت باب سيارتها، ودخلتها بسرعة قبل أن تغلق الباب.. ولسخطها، أدركت أنها تركت نافذة السيارة مفتوحة.

أحنى رأسه الأسود الشعر لينظر إليها، فأحست بيديه تمسكان إطار النافذة.

- كنت سأمر بمكتبك في الغد، لأدعوك إلى العشاء.. لكن، بما أنك هنا الآن لست مضطراً للانتظار طويلاً.. امضي بقية الأمسية معي.

تطلعت إلى الأمام مباشرة: «هذا مستحيل».

- هل يعني هذا أنك مشغولة؟

- بل يعني أنني لا أقبل دعوة من غريب.

- بالكاد نكون غرباء.

مالت برأسها نحوه، فأدركت متأخرة جداً أنها لا تريد أن تنظر إليه. النار الملتهبة في عينيه أخافتها وهزت كيانها في الوقت ذاته.

قالت بصوت مرتجف: «أنت غريب بالنسبة إليّ.. حتى الآن، كنت أعتقد أنك راهب».

التوى فمه بشكل يثير الاضطراب: «راهب لديه مشاكل فكرية؟».

وتابع بهذا قراءة أفكارها: «من المؤكد أن معرفتك بأنني مجرد رجل يجد

نفسه منجذباً إليك، ستريحك. على الأقل، لست بحاجة الآن أن تشعري بالذنب لأنك طوال الوقت كنت تغوين راهباً».

شعرت بالاحمرار يغزو خديها.. وتعليقه دفعها لتصيح: «أنت مخطىء يا سيد بينيت! إذا كان اعترافك قد فعل شيئاً، فقد جعلك أكثر ذنباً في نظري. ولا أعرف حقيقة من تكون».

- لاحظت ذلك. فحتى الآن أردت الأمور أن تكون هكذا. أترين آنسة مالوري.. لقد كنت عبر السنين متحرراً من التعقيد الذي لا تسببه سوى المرأة، خاصة امرأة مثلك.

كان صوته مغرياً بشكل لا يحتمل.. وأمسكت مقود السيارة بشدة: «إذا كان من المفترض أن يكون قولك نوعاً من المديح، فقد فشلت به سيد بينيت. فمن يكذب لأشهر طويلة بشأن شيء أساسي مثل كونه راهباً، قادر على الكذب في أشياء أخرى، ولا أريد المشاركة في هذا!».

- فعلت هذا للحفاظ على نفسي.. اعتقادك بأنني راهب، سهّل عليّ البقاء بعيداً عنك. أو هكذا ظننت.

وكان في صوته نبرة سخرية، وأكمل: «على عكس ما تظنين، لم أشأ أن أكذب عليك، حين جئت إلى الدير. كان والدي على شفير الموت، ولم أرغب في أن يخدمه الآخرون. أردت هذا الامتياز لنفسي».

وسمعت فران الحب في صوته وهو يتحدث عن والده: «وقررنا أن أرتدي ثياب الرهبان لتجنب فضول الزوار الذين قد يرونني أدخل وأخرج. وعندما وصلت ذلك الصباح، كنت قد سهرت الليل بطوله إلى جانبه».

يا إلهي! هذا يفسر الكثير عن ذلك اليوم.. ترقرقت الدموع في عينيها.

- تناقشنا حول المقابلة مع مجلتكم. كان ضعيفاً جداً، لكنه أصر على أن المقابلة مهمة له. لذا، قلت له إنني سأتدبر أمر اللقاء الأول مكانه.

جلست هناك مسمّرة.. تشعر طوال الوقت بنظرته شاخصة عليها.

- حين دخلت محل التذكارات، أتيت معك بروح ذلك اليوم الربيعي.

www.elromancia.com

وفجأة، كرهت طاقتك، وقدرتك على القيام بعملك بينما الأب الذي بالكاد أعرفه على فراش الموت في غرفة شبيهة بالزنزانة. . وبسبب حالته الصعبة، كرهت التطفل الذي أبعدني عنه. والأسوأ أنني بالرغم من ألمي، شعرت بانجذاب لم أرغب به نحوك.

أكمل: «في المرة التالية التي جئت فيها إلى الدير، كنت متألماً لوفاة والدي. مع ذلك، بدا انجذابي لك أقوى مما مضى، وتساءلت ما الذي فيك يؤثر بي، حتى وأنا في أصعب فترات حياتي».

«ولم أرغب في الشعور بالارتباط معك. فالالتزام شيء لطالما تجنبته. . لذا أكدت على أنني راهب واخترت متعمداً أن أنساك».

«لكن يبدو أن للقدر مخططات أخرى لنا. حين التقينا في الحفل الموسيقي، أدركت أنني في ورطة، وكدت أقول لك الحقيقة تلك الليلة. لكن جزءاً مني كان لا يزال غاضباً لأنني لم أستطع إبعادك عن تفكيري».

«سأكون صادقاً معك يا فرانسيسكا. . لقد عرفت عدداً من النساء في حياتي، لكنني في النهاية، لم أشعر بشيء تجاههنّ. . ثم التقيت بك».

خشن صوته: «كان التجاذب فورياً ولم يتلاشَ. وأنا أعرف أنك تشعرين بمثل هذا التجاذب أيضاً».

أحست بالنار تسري في عروقها، وأكمل بهدوء لا يلين: «تعرفين أنني ابن الأب أمبروز. . وصححي لي إذا كنت مخطئاً، لكنني أعتقد أنك عنونت قصتك عنه «ذكرى قديس» وبالتأكيد هذه نقطة البداية لنا، وإلى أن نكون قد أنهينا وجبة الطعام سيعرف أحدنا الكثير عن الآخر. ولقد آن الوقت لهذا. . ألست موافقة؟».

ودّت لو توافق. لكن صدقه خلق بُعداً جديداً، واعترافه بعدم القدرة على الالتزام مع امرأة أخافها.

لم يبدُ لها مختلفاً كثيراً عن والدها الذي توقف عن حب أمها، وابتعد. . ولن تدع فران التاريخ يعيد نفسه.

ـ أقدّر لك صدقك، وأعترف بوجود التجاذب. لكنني لا أستطيع الخروج معك يا أندريه. . ولا تسألني عن السبب. . لا أستطيع. والآن لو عذرتني لقد تأخرت عن موعد الحفلة.

ساد صمت مشحون بالتوتر، وتمتم: «أحسدك».

مرة أخرى أفقدها تعليقه توازنها: «ماذا تعني؟».

ـ لديك مكان تذهبين إليه. . وأناس ترينهم ويهتمون بك. أنا لست من هنا. بما أنني ابن رئيس الدير، عوملت كضيف مميز. لكنني لا أستطيع استغلال حسن ضيافتهم إلى الأبد. ولا يسمح للرهبان بالاختلاط مع الغرباء وأنا لا أعرف مخلوقاً في المدينة سواك.

بدا متوحداً. . اللعنة عليه.

أخذت نفساً مرتجفاً: «إذا كنت تحاول جعلي أشعر بالأسف من أجلك، فلن ينجح هذا».

ـ لقد أسأت فهمي. ظننت أنني أوضحت أنك السبب الوحيد لوجودي هنا.

ردت في محاولة لتغطية ضربات قلبها: «إذن، أنا آسفة عليك، لأنني لا أستطيع أن أفكر بعلاقة جدية معك».

ـ إذا كان هذا صحيحاً. . فلماذا قال لي الأخ جوزف إن أملك خاب حين جئت إلى الدير بالمجلات واكتشفت أنني لم أعد هناك؟

توهّج وجهها: «لا بد أنه تخيل هذا».

ـ لا. . لقد قال إنك انزعجت، وأردت أن تعرفي إلى أين ذهبت. . لذا لا أظن أنك ترفضين الارتباط بي.

صاحت محتجة. . وقد شعرت أنها تغرق بسرعة: «أرجوك يا أندريه. . ».

ـ أرجوك ماذا؟ هل تفترضين أنني أتخيل خفقان النبض المجنون عند أسفل عنقك؟

قالت متوترة: «هذه ملاحظة شخصية جداً تقولها لشخص بالكاد تعرفه».

- في شهر أيار أمضينا ساعة مثيرة للاهتمام نضع الخطط لمجلتك معاً. لكن ذلك لم يكن كافياً. وكذلك لم يكن لقائنا القصير في لوس أنجلوس.. لذلك عدت لأصحح الوضع. لكن إذا كنت تتضايقين من مديح بسيط، كيف ستكون ردة فعلك إذا...

ولمحت نظرة مشاعر فجة في عينيه قبل أن يلتقط وجهها بين يديه القويتين.

سيعانقها أمام الجميع.

وحاولت أن تقاوم، لكن، ما من مكان تهرب إليه.

ودّت لو يطول هذا الإحساس الغامر، فقد أحست أنها خفيفة كالريشة في الهواء.

ابتعد عنها وعلى وجهه ابتسامة رضى.

- لا تقولي لي مرة أخرى إنك لست مهتمة.

صوته الأجش الهامس دخل إلى أعماقها: «استمتعي بالحفلة».

***

قال القسيس واللمعان في عينيه الرماديتين: «فران! يسعدني مجيئك. كان هوارد يسأل عنك، اذهبي إلى غرفة الطعام.. فالسيدة لاندرز تخبره كل شيء عن أمراضها، وأظنه يحتاج إلى من ينقذه».

ابتسمت ولحقت بآخر الواصلين المتجهين إلى غرفة الطعام. لم تكن تصدق أنها قادرة على التحدث عن أمور تافهة وكأن شيئاً لم يكن.

فنبضات قلبها كانت تتسارع ووجنتاها لا تزالان حمراوين مما حصل بينهما.

قبل الليلة، كانت تتصوره شاباً يقرر مع العديد من الشبان أن ينضموا إلى الكهنوت.. ولكن هذه لم تكن دعوته، ما جعله بنظرها أكثر غموضاً من

قبل.

إنه رجل حال العالم بأسره.

ومن الطبيعي أن يكون قد تعرف إلى نساء أخريات. فما من رجل جذاب مثل أندريه بينيت بلغ الثلاثينات من دون التورط مع امرأة. لكن حسب اعترافه، لم تدم أي من علاقاته... مثل والدها تماماً.

لم ترغب حتى أن تفكر بالنساء اللواتي دخلن حياته. فما من شك أن جاذبيته أقوى من أن تقاومها امرأة.

لكن، حتى لو أرادت أن ترتمي بين ذراعيه، فإن فكرة التورط مع رجل اعترف لها لتوه أنه يتجنب الارتباط غير واردة.

لو جاء اليوم الذي ستقع فيه فعلاً في الحب، سيكون ذلك مع رجل محترم سليم السمعة.

قال صوت رجل: «تبدين مشوشة الأفكار».

فأعادها إلى حاضرها.

رفعت رأسها: «هوارد..».

- لقد تذكرت اسمي. هذا شيء مهم على الأقل.

عيناه الزرقاوان الصافيتان لم تتغيرا. كانتا لا تزالان تنظران إليها بالإعجاب ذاته الذي تتذكره، لكنهما كانتا تطرحان الأسئلة كذلك.

من دون شك، سيكون طبيباً نسائياً ممتازاً. فمن دون أن يقول كلمة، أحس بعذابها ودعاها لتفضي إليه بما يزعجها. لو كانت الظروف مختلفة، لوجدت نفسها تخبره بمشاكلها مثلما كانت تفعل السيدة لاندرز.

تمتم بشيء من الإشفاق: «أفكارك لا تزال تربط لسانك. لا أستطيع أن أصدق أنك لم تتزوجي وتنجبي ولدين على الأقل».

- كنت سأقول الشيء ذاته عنك. أما بالنسبة لي، فكنت مشغولة جداً في تأسيس مستقبلي العملي.

- أعرف.. لقد أراني أبي مجلة «بيهايف» وقصتك عن فرقة «تابرناكل»

على الغلاف، أهنئك! أنت كاتبة موهوبة ومصورة رائعة.

- شكراً لك. وأنت لم تكن سيئاً يا دكتور.. ولو أنني أشعر بضرورة الاعتذار عن والدك. أعرف أنه دائماً يهتم بكل ما يفعله أبناء رعيته، لكنني واثقة أنك كنت في غنى عن تصفّح المجلة رغماً عنك.

ابتسم ابتسامته القديمة، لكن العجرفة اختفت.. ذلك المراهق الوسيم الأشقر الطويل القامة الذي يكبرها بسنتين تحول إلى رجل بهيّ الطلعة اكثر مما كان عليه في شبابه.

- بالعكس. لقد طلبت منه أن يرسل لي كل شيء عنك.

لم تكن فران تعرف بذلك.. ليس بعد كل هذه السنين.

- إذن، دعني أكون من بين الناس الذين يرحبون بعودتك.

منحها ابتسامة خفيفة: «تبدين وكأنك تعنين هذا».

- بالطبع أعنيه! الجميع فخور بابن البلدة الذي نجح.. خاصة أبواك.

ارتفع حاجبه: «هل يعني هذا أنك ستفكرين أخيراً بالخروج معي؟ لقد انتظرت تسع سنوات لهذه الفرصة».

لو أن رجلاً من معارف ماضيها تفوه بملاحظة كهذه لضحكت. ولكن بما أنها لا تزال تذكر كيف زجرته دون رحمة حين كانا مراهقين، أحست بكثير من الندم.

في الحقيقة، لم يفعل شيئاً خاطئاً. فمرارتها بسبب علاقات والدها المتعددة جعلت من ابن القسيس الجذاب هدفاً لمرارتها. ووضعته مع والدها الخائن في الخانة نفسها.

- إذا كنت تطلب.. فأنا أقبل.

هز رأسه: «هكذا.. أمر لا يصدق. ما رأيك بليلة الغد؟ يمكن أن نذهب إلى العشاء ما إن أخرج من المستشفى».

كان هوارد هو بالضبط ما تحتاج إليه الآن لإبعاد أفكارها عن بينيت إلى الأبد.

- ليلة الغد موعد جيد. في أي وقت؟

- هل يمكن أن أتصل بك؟

- وهل لديك رقم هاتفي؟

- لدي دليل الهاتف.

- الرقم موجود فيه.. سأتطلع شوقاً لرؤيتك.

واستدارت لتذهب.

- بالتأكيد لن تغادري الحفلة الآن، لم تذوقي بعد طعام أمي.

لا يبدو أن شيئاً كان يفوت ملاحظة هوارد لكنها كانت قد فقدت شهيتها بعد مقابلتها للراهب.

لا.. ليس راهباً. إنه ليس رجل دين، ولا تعرف من هو.

توقفت في منتصف سيرها وقالت: «كنت خارج المدينة معظم اليوم، ولدي أمور كثيرة أنجزها قبل الصباح.. فهل تمانع لو غادرت؟».

ضاقت عيناه على قسمات وجهها، وكأنه عرف أنها تخبيء ذنباً ما.

- بالطبع لن أمانع.. يجب أن أعتبر نفسي محظوظاً لأنك جئت إلى منزلنا. سأتصل بك غداً، إما في عملك أو في شقتك.

لو كان أصغر سناً لضغط عليها كي تبقى إلى أن يجبرها على قول شيء يردعه. لكن صورته الجديدة الناضجة مختلفة تماماً.

- شكراً لك. عمت مساء، هوارد.

كان المكان مظلماً في الخارج، ويزداد برداً. كانت متلهفة للوصول إلى بيتها والتفكير بما حدث لها هذه الأمسية. وأسرعت إلى سيارتها.. لكن قبل أن تصلها، رأت شيئاً أبيض تحت مسّاحة الزجاج الأمامي.

في البداية ظنت أنه إعلان. لكن سرعان ما أدركت أنه مغلّف موجّه إليها هي بالذات.

أخذت المغلف وصعدت إلى السيارة. وما إن أصبحت في الداخل، حتى أقفلت الأبواب وأضاءت الضوء الداخلي لتقرأ ما جاء فيه.

كانت يداها ترتجفان، ولم تستطع الإمساك بالورقة جيداً.

في خط جريء جميل، قرأت:

«فرانسيسكا.

أنا لم ألحق بك لأخيفك.. وبما أنني لا أعرف أين تقيمين، ولا رغبة لي في أن أزعجك بالاتصال إلى مكتبك أو الحضور إلى هناك مرة أخرى من دون دعوة، لم يكن أمامي خيار آخر.

في الوقت الذي تقرأين فيه رسالتي، سأكون قد عدت إلى الدير بانتظار أن تأتي.. يجب أن نتكلم، وإذا لم تأتي، سأعرف أن المشاعر التي أحسست بها وأنا معك منذ فترة قصيرة كانت من جانبي فقط، ولن أزعجك مرة أخرى.

أندريه»

جف حلق فران. وقرأت الرسالة عدة مرات، قبل أن تسحقها في يدها.

أندريه بينيت يعرف تماماً ماذا يفعل. مهما كان عدد الأسئلة التي لم تجد لها رداً، كان يدرك أن أكبر مخاوفها كانت تجاوبها معه والحرارة التي أشعلها فيها.

وإذ اشتعل قلبها ناراً شوقاً إليه، أغوتها رسالتها بالذهاب إليه لكن لو أطاعت تلك الرغبة، فربما ستندم إلى الأبد.

الليلة، طلب منها هوارد العشاء معه. وبما أنه شخص لطيف، وبما أنها تشعر الذنب لمعاملتها له منذ سنوات، قررت أن تقبل دعوته للعشاء.

أي نوع من النساء ستكون لو قبلت موعداً مع رجل تعرف عائلته منذ سنوات، لتعود جرياً إلى ذراعي غريب غير مستقر وغامض، لا تعرف شيئاً عن ماضيه، لمجرد أن تتمتع بغزله، في اللحظة التي تبتعد فيها عن نظر هوارد؟

ستكونين نسخة عن والدك.

وأرعبها الرد.. أدارت محرك السيارة واتجهت إلى شقتها وكأن شياطين الجحيم تلاحقها.

***

www.elromancia.com

٥ ـ البعد جفاء؟

كان أندريه يعرف أن فرانسيسكا تريد أن تأتي فهي لا يمكن أن تكون قد استجابت له بالطريقة التي فعلتها لو لم تكن تريده بقدر ما يريدها، وشعرت بما شعر به.

لكن، حتى وهو يخط رسالته، كان يعرف في قرارة نفسه، أنها لن تأتي الليلة، فهي ليست مستعدة بعد للاعتراف بعمق مشاعرها نحوه.

مع ذلك، كان ينوي الانتظار حتى منتصف الليل، وجلس على المقعد الحجري خارج الدير ليقرأ بعضاً من الرسائل التي وصلته. وعلى ضوء المصباح الزجاجي على الجدار، قرأ آخر رسالة من جيردا.

«عزيزي أندريه..

وصلت رزمتك كهدية من السماء، ولم أستطع منع نفسي عن البكاء وأنا أشكرك من أعماق قلبي،

أود كذلك أن أشكر الصحافية الشابة الجميلة. ربما في يوم من الأيام، سأتمكن من شكرها بنفسي.

حين التقينا في لوس أنجلوس لحضور الحفلة الموسيقية معاً، كان هاريف قد أنهى مقابلة عمل لمركز تعليمي في أميركا.

ولقد وصلتنا الآن أخبار رائعة. لقد عرض عليه مركز بروفسور في جامعة واشنطون وجامعة أوتاه. والخبر الجيد أنه قبل مركز مساعد بروفسور في اللغة الألمانية في جامعة «أوتاه» لذا سننتقل إلى «بحيرة الملح» بشكل دائم!

ومنذ سمعت فرقة تابرناكل تغني، أردت أن أعيش هناك.

نحن الآن نوضب أغراضنا في زوريخ ونتحضر للسفر بحلول أول تشرين الأول. ولن نتمكن من البحث عن مكان نقيم فيه حتى نصل. لكنني لن أمانع، فقد استجيب دعائي. وكان الله لطيفاً معي ومع عائلتي، ولن أستطيع التذمر.

أندريه، أنت تعرف أننا عندما نستقر، يمكنك أن تأتي للإقامة معنا في أي وقت تمر به في «بحيرة الملح» لزيارة قبر والدك.. بيتنا بيتك، وتعرف هذا.

سأكلمك قريباً، اعتنِ بنفسك.

مع خالص حبي.. جيردا».

هز رأسه غير مصدق.. عائلة جيردا ستؤسس بيتاً لها في «بحيرة الملح» من بين كل الأماكن.. من كان يحلم بهذا؟

وبالطبع، كان الخبر مبهجاً له بقدر ما كان غير متوقع.

وضع الرسالة في جيبه وأخرج الصحيفة. فبعد لحاقه بفرانسيسكا إلى مكان الحفلة، اشترى واحدة من مكان آخر.. وراح يتصفحها متلهفاً للوصول إلى صفحة العقارات.

عند الدقيقة الأولى بعد الساعة الثانية عشرة، طوى الصحيفة ووضعها تحت إبطه، ودخل ليطفىء الأنوار ويقفل الأبواب. لن يمر وقت طويل قبل أن يجد لنفسه مكاناً يعيش فيه.

ما من شيء سيسرّه أكثر من دعوة جيردا وعائلتها للإقامة معه.. فبعد أن فتحوا له بيتهم في زوريخ، سيتمكن أخيراً من رد جميلهم.

لكن لم يعد أمامه سوى شهر واحد ليجد المنزل المناسب ويؤثثه لاستقبال الضيوف، ما يعني أن عليه العمل بسرعة إذا كان يريد لخططه أن تتحقق.

أصرّ هوارد على مرافقة فران حتى باب شقتها واستطاعت أن تشعر من

www.elromancia.com

الطريقة التي كان ينظر فيها إليها، أنه لا يريد لهذه الأمسية أن تنتهي، وكانت فران من ناحية أخرى لا تزال تتعذب من أجل أندريه بينيت، بحيث لا تعرف ماذا تشعر حيال أي شيء آخر.

- شكراً لك على هذه الأمسية الرائعة يا هوارد.. لقد استمتعت بها حقاً.

- وأنا كذلك.. ما رأيك بحضور الأوبرا معي ليلة الجمعة القادمة؟ سيعزفون أوبرا «زواج فيغارو».

- لو لم أكن سأغادر المدينة، لقبلت بكل سرور.

عقد حاجبيه: «مهمة للمجلة؟».

- أجل. أنا أحضر مقالة عن الصحراء الغربية، تشمل تغطية سباق السيارات في «بونتيل سولت فلاتس».

- وهذا يعني أنك ستمكثين ليلة في «ويندوفر».

- في الواقع، سأقيم في مخيم خارج «بلولايك» مع بعض الأصدقاء، أتذكر سيلفيا ويريت؟.

- ليس كثيراً.

- لكن سيلفيا تتذكرك.. كانت متيمة بك في المدرسة الثانوية.. كل الفتيات كن هكذا.

لم يبتسم ليردّ.

- لم ألاحظ هذا.

مرة أخرى أساءت فران القول، فقد حاول تغيير الموضوع، لكنها سبقته:

- حسن جداً.. كان هذا منذ زمن بعيد، وهي الآن متزوجة، وزوجها معلم غطس يعلم الغوص تحت الماء في جامعة أوتاه.. وهي في صفه. والطلاب سيذهبون إلى هناك في نهاية الأسبوع للخضوع لامتحان، وسألتقط بعض الصور، وأجري بعض المقابلات لمقالتي. ولا أعتقد أنني سأعود قبل

مساء الأحد.

نظر إليها عبر أهدابه الكثيفة: «هل كان هذا موعداً مدبراً فران؟ هل أجبرك والداي على حضور الحفلة، وأحسست أن لا خيار لك إلا الإشفاق علي؟».

احتجت: «لا.. أقسم أن الأمر ليس هكذا».

- إذن.. هناك شخص آخر، وأنتما مختلفان.

هزت رأسها: «أنت مخطىء يا هوارد، أنا لم أخرج مع أحد منذ أشهر».

لكن المواجهة مع أندريه أمر آخر..

أكمل بإصرار: «هذا لا يعني شيئاً. وصدقيني، أعرف متى تكون المرأة التي أرافقها معي أم لا. الليلة، تناولت العشاء مع وجه جميل مبتسم لفران مالوري. لكن المرأة الحقيقية، لم أجدها».

أشاحت بعينيها: «أنا آسفة. أنت آخر شخص في العالم أرغب في إغضابه».

- أصدقك. أخبريني إذن ماذا يجري معك حقاً.. هل تحبين هذا الرجل؟

ردت بصوت مرتجف: «قلت لك، الأمر ليس كذلك».

- كيف إذن؟

- أفضّل ألاّ أتكلم عنه.

تنهد منهزماً: «الزمن لم يغيرك.. ما زلت تحاربين طبيعتك».

ارتفع رأسها: «ماذا تعني؟».

- لقد تسبب لك والدك بالكثير من الضرر.. هل استشرت أخصائياً؟

قفزت صورة لدكتورة ويلكوكس إلى ذهنها.

- في الواقع.. لقد فعلت.

- هذه خطوة جيدة. الواقع أنني أريد أن أتعرف إليك بشكل أفضل. لكن هذا لن يحدث إلا إذا تخلصت من عدم ثقتك بالرجال، وتعلمت حب

www.elromancia.com

المخاطرة مرة أخرى. ليلة سعيدة يا فران.

ونزل السلم قبل أن تفكر بأن تناديه: «هوارد؟ أرجوك، لا تتركني وأنت منزعج.. هل يمكن أن أتصل بك في الأسبوع القادم؟».

بعد صمت قصير، أجاب: «فقط إذا كنت تعنين هذا».

لا ريب في أنه رجل لا يمكن اللعب معه. يجب أن تعرف ماذا تريد فعلاً قبل أن تحاول الاتصال به.

بعد دخولها شقتها بوقت طويل، وخلودها إلى الفراش، استلقت فران فيه صاحية تفكر بملاحظته.. أشخاص آخرون، مثل أمها، وبارني، وباول، قالوا لها الشيء ذاته. لكن سماعه من هوارد بدا على مستوى شخصي أكثر.

لم يكن مجرد طبيب يقدم نصيحة.. فهو رجل جذاب جداً، وذكي ومحترم وشهير يمتلك كل ما يمكن أن يتقدم به إلى امرأة، وما من شك في أنه سيصبح زوجاً رائعاً، لذا يجب أن تشعر فران بالغرور لأنه يريد أن يعرفها بشكل أفضل.. وهذا ما يرضي غرورها فعلاً.

لو استطاعت تجاوز مخاوفها، لحاولت أن تختبر العلاقة مع هوارد. ولكن قبل أن تجرؤ على الاقتراب منه، عليها أن تخرج أندريه ببنيت من تفكيرها.

احتضنت فران الوسادة، كأنها حبل نجاة. كانت جبانة جداً عندما هربت منه يوم الأحد. ولقد أثبت مدى تشتتها.

لو أنها قبلت دعوته لقضاء الأمسية معه، لما كانت تتعذب الآن.

وأحسّت بأنها إن انجرفت معه، فلأنه يمثل الفاكهة المحرمة.. ولو أزالت هذا الغموض، لنظرت إليه كما تنظر إلى أي رجل من معارفها. فصدق من قال إن ما من خوف أعظم من الخوف ذاته؟

لم يفعل أندريه شيئاً فظيعاً. ولحاقه بها إلى منزل باركر ليضع رسالة على سيارتها ليس جريمة.. إنه ليس راهباً.. ولم يكن يوماً راهباً!

هذه هي مشكلتها.. ودماغها يصر على التفكير به على هذا الأساس.. إنها غلطته في التمادي بالكذب.. لكنه شرح لها أسبابه.. أسباب أقحمتها في نوع آخر من العذاب، لا تريد التفكير فيه.

لكنها مذنبة هي أيضاً، ففي أول مرة ذهبت فيها إلى الدير كانت تسدي خدمة لباول. لكن، بعد ذلك كان بإمكانها أن تطلب من أحد غيرها أن ينهي المهمة.

ولكنها اشترت فستاناً جديداً، ودخلت محل التذكارات وكأنها مراهقة صغيرة تتعطش للحب. ليس من حقها أن تلومه، فهي التي أوصلت نفسها إلى حالتها الحاضرة.

لم تكن بحاجة لمن يقول لها إنها لو بقيت تفكر هكذا، سينتهي بها الأمر عجوزاً مزعجة.. حتى الآن، لم تكن تهتم حقاً. لكن رؤيتها لهوارد مجدداً، بعد كل تلك السنوات ذكرها كم مر من وقت، وهي غاضبة من والدها.

عرف هوارد بالضبط مشكلتها وحاول مساعدتها. ربما هو على حق. لقد تركت الجرح يصيب روحها حتى لم تعد قادرة على الثقة بأي رجل.

حين جاء الصباح، اتصلت بالمكتب لتعلمهم أنها ستتأخر، ثم اتجهت إلى الدير.

لا شك أن أندريه سيندهش لرؤيتها. لكن بما أنه أوضح لها أنه لن يزعجها في المكتب من دون دعوة، أدركت أن الكرة أصبحت في ملعبها الآن.

تحتاج للتكلم معه لتريح بالها.. فهو لم يعد غامضاً بالنسبة لها، ويمكنها أن تنظر إليه بالطريقة ذاتها التي تنظر فيها إلى رجل تلتقيه كل يوم في عملها.

سيتجادلان وعندئذٍ ستتمكن من الابتعاد، والذهاب إلى هوارد، من دون أن يقف أي شيء بينهما.. وأدركت فران أن هوارد رجل جاد.

لو لم تسمح لأخطاء والدها بأن تشلها، فمن يعرف ماذا كان سيحدث

بينها وبين هوارد منذ سنوات.

كان الصباح شتوياً، غائماً.. وكان الثلج يغطي الأرض وسطح الدير.. وهي تشق طريقها عبر الطريق الخاصة، لاحظت سيارة أنيقة زرقاء تتجه نحوها من جهة الدير.

خففت سرعتها واتجهت إلى أقصى اليمين لتسمح للسيارة الأخرى بأن تمر.. ولدهشتها، توقفت السيارة الأخرى حين وصلت إليها. ودفعها الفضول أن تنظر إلى الرجل العابس الجالس وراء المقود.

أندريه.

وأحست فران بأن الزمن توقف من حولها.

لقد بدا.. رائعاً.. بكنزته السوداء. ولم يكن من كلام يصف جاذبيته.

جالت عيناه فوق شعرها ووجهها، لكن من دون أن يتلفظ بأي كلمة، ما صعّب الأمور عليها.

تمتمت بارتباك: «صبا.. صباح الخير».

كان يرمقها بنظرة غريبة كادت تفقدها رشدها.. ولم تعد قادرة على التنفس.

في كلمات سريعة، قالت: «جئت لأراك. لكن يبدو أن لديك خططاً أخرى.. لذا..».

قاطعها قبل أن تنتهي: «أركني سيارتك في الموقف وسألحق بك».

ارتجف جسمها، ووهنت ساقاها حتى باتت عاجزة عن تحريك سيارتها الصغيرة، وقيادتها المسافة القليلة حتى الدير. لكنها وصلت بمعجزة إلى المكان الذي كانت تقصده.

قبل أن تطفىء المحرك، كان قد أصبح إلى جانبها ومع كل خطوة كانت تقربه إليها، كان نبضها يتسارع.

خرجت من السيارة لتواجهه، ويا ليتها لم تفعل، لأنه وقف قريباً جداً منها.. فجف حلقها وتسارعت أنفاسها وأحست به في كل ذرة من

جسمها.

ـ هل أخذت عطلة من العمل اليوم؟

ـ لا.. اتصلت وقلت إنني سأتأخر.

جالت نظرته على وجهها: «وكم ستتأخرين؟».

عضت شفتها: «قدر ما يلزم لأكلمك..».

ـ واضح أنك تفضلين السابعة والنصف صباحاً على مواعيد منتصف الليل.. هل تناولت الفطور؟

ـ لا.

ـ ولا أنا، هناك مقهى يبعد نحو ميلين شمالاً من هنا يدعى «كوير كانل».

ـ لقد ذهبت إلى هناك عدة مرات.

ـ جيد.. يمكن أن نذهب في سيارتي. لكن إذا كنت خائفة أن آخذك إلى مكان يعجز أحد عن إيجادنا فيه، فسأكون سعيداً أن ألقاك هناك.

تمتمت بمزيج من الذنب والسخط: «أندريه..».

ـ كوني حذرة بما ستقولين.. وكأنني لم أفكر في هذا.

بدا التحذير الذي قاله بصوت أجش جداً بما يكفي ليرسل قشعريرة في جسمها المرتجف.

قالت وهي تتنفس بعمق: «من الغباء استخدام سيارتين».

ـ موافق.. سيارتك أم سيارتي؟

كان لا يزال يعطيها الفرصة لتحافظ على رباطة جأشها... لكن عبثاً يحاول، إذ كانت تشعر بالضعف في وجوده.

ـ يجب أن أعترف أنني لن أمانع في الذهاب إلى هناك في سيارتك المستأجرة.

نظرة الرضى في عينيه كادت تجعلها تغير رأيها.. لكن، لو هربت الآن، سيكون هذا اعترافاً بالهزيمة. ومن أجل مصلحتها، يجب أن تكمل خطتها.

استدارت حول السيارة إلى المقعد الأمامي حيث فتح لها الباب.

قالت بعد أن استدار وجلس في مقعد السائق: «تبدو هذه السيارة جديدة، ورائحتها كذلك».

أقفل الباب، ثم أدار رأسه ونظر إليها نظرة ثاقبة: «اشتريتها من وكالة سيارات يوم أمس».

سألت: «هل تنوي قيادتها إلى نيو أورلينز؟».

رد بصوت هادىء وقد انطلق بالسيارة.

ـ ولماذا سأذهب إلى هناك؟

ـ أوليس موطنك هناك؟

ـ ومن أين أتتك هذه الفكرة؟.

رفرفت عينيها: «أعتقد أنني افترضت هذا بسبب المعلومات التي أعطيتني إياها عن والدك لمقالة المجلة».

قال: «لقد ولدت هناك. لكنها لم تكن يوماً موطناً لي. عندما بلغت السابعة عشرة، غادرتها وذهبت إلى البحر».

البحر؟

وتسارعت أفكارها وهي تتصور وسامته التي تأسر القلوب ببذلته الرسمية.

ـ هل أنت من رجال البحرية إذن؟ ألهذا السبب تسافر كثيراً؟

تمتم بصوت أجش، وكأنه يقرأ أفكارها: «الأمر ليس بهذه الرومنسية. لقد سافرت حول العالم عدة مرات كبحار تجاري».

بحار تجاري؟

وعلقت أنفاسها في حلقها.. فكلمة «بحّار» بحد ذاتها أوحت لها أنه رجل بدون وطن وبدون ارتباطات، روح متململة لا تستطيع البقاء في ميناء واحد، لمدة طويلة، حتى ينتقل إلى مكان آخر.. أو لامرأة أخرى..

ـ هل سمعت عني ما يكفي؟

أنكرت بسرعة: «لا! بالطبع لا».

ـ إذن، كيف أفسر هذا الذعر المرتسم على وجهك؟

ردت بلهجة الدفاع: «لست مذعورة».

ـ بل أنت هكذا!

بعد ثانية، استدار في الشارع الهادىء المؤدي إلى الطريق العام، عائداً باتجاه الدير.

ـ ماذا تفعل؟

ـ آخذك إلى سيارتك طبعاً.

صاحت مذعورة: «لا يا أندريه!».

ومن دون وعي منها وضعت يدها على ذراعه لتوقفه، فأحست بجسمه ينوتر وبعد أن توقف إلى جانب سيارتها، استدار إليها.

ـ أصبتِ بعدم مجيئك ليلة أمس.. أنت تلعبين بالنار. أخرجي من السيارة الآن فرانسيسكا، ما دام مزاجي لا يزال يسمح لي بتركك.. إذهبي إلى من هم من نوعك.

قاومت لتتنفس: «ماذا تعني؟».

ـ ما قلته بالضبط.

وبدت تعابير وجهه عاصفة، وشعرت أنه يكاد يفقد السيطرة على نفسه، ما سبّب بتصاعد غضبها: «لماذا تحاول أن تخيفني لأبتعد؟ أعترف أنني دهشت للطريقة التي كنت تكسب فيها رزقك طوال سنين.. لكن..».

قاطعها: «تعنين أنك صدمت! وأنت الآن تتساءلين كيف يمكن أن أكون ابن راهب ألزم نفسه بالبقاء في مكان واحد طوال حياته.. لقد سألت نفسي السؤال ذاته حين عرفت أن والدي لا يزال حياً.. رئيس دير يختفي عن الأنظار في مدينة صحراوية لا يعرفها سوى الله. وحتى تلك اللحظة، لم تكن بحيرة الملح تمثل لي شيئاً أكثر من نقطة لا أهمية لها على خريطة مكان لم أره من قبل، ولا رغبة لي في زيارته».

www.elromancia.com

سألته بحسرة: «ومن قال لك إنه حي؟».

ـ خالتي ماودل.

سألت قبل أن تدرك الإدانة التي في سؤالها: «وليس أمك؟».

ـ ربما كانت ستفعل في يوم ما لو لم تمت وهي تلدني.

نظرت فران إليه مشدوهة، غير قادرة على إبعاد نظرها عنه. لم تكن تعرف بموت أمه.

لقد خسر أمه يوم مولده، ثم وجد والده قبل أسبوعين من موته... لا بدّ أنها كانت صدمة كبيرة له.

وهذا يفسر أكثر من أي وقت مضى تصرفه العدواني نحوها عندما التقت به في الدير في المرة الأولى. لقد كان يومها يشعر بألم كبير.. ولا عجب أنه احتفظ لنفسه بتلك الساعات الثمينة التي بقيت له مع والده.. وآخر شيء كان يمكن أن يريده، هو التعامل مع صحافية لا تعرف كيف تتلقى الرفض لطلبها.

ووخزها ضميرها مجدداً وهي تتذكر كيف هاجمته دون خجل بسبب انجذابها إليه..

ـ يبدو لي من القسوة أن تنتظر خالتك وقتاً طويلاً قبل أن تقول لك إنه حي.

على الأقل، كان يمكن لأندريه أن يفتخر بأبيه، ويستحق أن يمضي معه وقتاً أطول.

قال: «هي لم تتزوج أبداً، ولا رزقت بأولاد، وأعتقد أنها كانت قلقة من أنني لو عرفت سرها، سأكف عن حبها.. وهذا غير صحيح طبعاً.. لقد كنت أحبها كثيراً. وكنت أرسل لها المال وأزور لويزيانا لأراها.. لكن ضميرها تغلب عليها أخيراً وهي على فراش الموت».

وهذه خسارة أخرى له.. وما قاله كان صاعقاً لفران.

أكمل: «أصبحت الآن تفهمين أن حياتي لم تكن تقليدية، وحتى

مؤخراً، كل تلك السنوات في البحر، كانت تناسبني تماماً.. إنه عمل جيد، قاسٍ، وصادق، وفر لي المغامرة والمال. لكنني أدرك أن ليس كل النساء يعجبن بمثل هذه الحياة، خاصة امرأة مثلك».

أضاف بعد صمت: «إذن، الآن وقد تكلّمنا عني، فلنتكلم عما يدور في ذهنك يا فرانسيسكا.. لماذا أخذت فجأة هذا القرار وجئت؟».

أجابت ومقطوعة الأنفاس: «جئت إلى هنا هذا الصباح، لأن.. لأن شخصاً مهماً جعلني أدرك أنني بحاجة إلى مواجهة قلقي».

سأل بصوت يخلو من الشفقة: «شخص مهم؟».

ـ أجل.

ـ رجل؟

همست: «أجل».

ـ وهل أحس أنني أهدده؟

ـ اسمع أندريه..

وأكملت تشرح له لأنه لامس الحقيقة.

ـ.. لقد هربت منك يوم الأحد.. وكان هذا تصرفاً غير ناضج مني. وفكرت أنني لو أتيت إلى هنا هذا الصباح، يمكننا التحدث كراشدين عاقلين.. ثم..

ـ ثم أبتعد عنك وكأنني ولد صغير طيب، وأتركك مع رجل ذي حسب ونسب ومصداقية؟ إذا كان هذا هو الحال، دعيني أزيل هذه الفكرة من رأسك.

صمت قليلاً، ثم أكمل: «أنا أرغب فيك كما يرغب رجل في امرأة.. وإذا كنت صادقة، ستعترفين أن وجودك هنا هذا الصباح، دليل على أنك تبادليني شعوري... أعتقد أن الوقت حان للتكلم بصدق».

اقترب منها ليضع ذراعه خلف مقعدها: «لماذا لا تقولين لي من هو الرجل الذي وضع الخوف في رأسك أصلاً».

www.elromancia.com

تمتمت متأثرة بأنه والدها.

ـ وماذا فعل بالضبط؟

ردت: «ما يفعله معظم الرجال بزوجاتهم».

قال بعد صمت قصير: «بكلمات أخرى لم يكن مخلصاً».

ـ أجل.

ـ متى عرفت بهذا؟

ـ كنت في السابعة. في أحد الأيام دخلت المنزل ورأيت أمي في غرفة الجلوس تنتحب، حين سألتها عما جرى، قالت لي إن أبي رحل. وبما أنه كان يغادر البلدة دائماً بسبب أعماله، لم أفهم ما كنت تعنيه.. وشرحت لي فيما بعد أن بعض الرجال يتململون جداً، ولا يستطيعون البقاء في مكان واحد طويلاً. ولا أحد يعرف السبب، إنهم فقط لا يرتبطون..

صمتت قليلاً ثم أكملت: «قالت إنه كان له عشيقات كثيرات.. ورحل أخيراً مع واحدة منهن. في ذلك الوقت، كنت صغيرة جداً لأفهم ما قالته لي.. كنت أحب أبي.. وكل ما قلقت عليه كان متى سيعود إلى البيت، وقالت إنها لا تظنه سيعود».

صمتت فران لتتنحنح: «كانت محقة.. لم أشاهده مجدداً».

سحب ذراعه عن مؤخرة المقعد.. وقال: «.. أنا آسف لأنك عانيت الكثير من الألم. الفارق الوحيد بين والدك وبيني هو أنني خلال رحلاتي حول العالم، لم أهتم بامرأة بما يكفي لأتزوجها وأرزق بأولاد.. وأعتقد أنه لزمك شجاعة كبيرة لتأتي إلى هنا اليوم».

صمت قليلاً ثم أكمل: «بعد الحديث الذي تشاركناه، والأشياء التي قلتها لك عن نفسي، لك كل الحق أن تعتقدي بأن حياتك كانت سيئة الطالع مرتين.. والآن بعد وصول حديثنا إلى نهايته، عودي إلى ذلك الرجل المهم، وأكدي له ألا يقلق».

تسمّرت في مقعدها.. فبعد أن حققت ما أرادته، وجدت أنها غير

مستعدة لإنهاء الأمور هكذا فجأة.

ـ أندريه..

ـ بحق الله.. ليس بإمكان الرجل أن يتحمل الكثير.. وتعرفين ماذا سيحدث لو أمضينا وقتاً أطول معاً.

تحركت فران بقلق غير قادرة على النظر إليه.. وقال لاهثاً: «أعرف أنني على صواب. اذهبي إلى سيارتك الآن، وإلاّ لن أكون مسؤولاً عن النتائج».

مدت يدها إلى مقبض الباب، لكنها لم تستطع أن تفتحه.. فقد كان صراع داخلي يتنازعها ومشاعرها كانت مشوشة. وصاحت بصوت مذعور: «إلى.. إلى أين ستذهب.. بعد أن تغادر الدير؟».

ـ لماذا تريدين أن تعرفي؟ ما مصلحتك في هذا؟

ليلة الحفلة قال لها إنها السبب الوحيد الذي عاد به إلى هنا. وفكرة عدم رؤيته مجدداً كانت بغيضة لها.

قالت متوسلة: «أرجوك أندريه».

سأل: «أرجوك ماذا؟».

ابتلعت بقوة: «هل ستعود مجدداً إلى الدير؟».

بعد صمت كاد يحطم قلبها، قال: «ليس لأبقى.. لكن، سيكون هناك أوقات أرغب فيها بزيارة قبر أبي، وإذا صادف والتقينا، يمكنك اعتبارها مصادفة صاعقة. وداعاً يا فرانسيسكا».

وقصد بهذا أن تنزل من السيارة لوحدها.

بحركات خرقاء، فعلت أخيراً ما يريد. لكن، حتى قبل أن تسمع صوت الباب، كانت السيارة تتحرك مبتعدة عنها.

راقبتها إلى أن اختفت في أول منعطف في الطريق الداخلية.. في تلك اللحظة وخز قلبها ألم حاد.

دخلت سيارتها مذعورة وبدأت تقودها..

وبعد أن وصلت إلى «هيبر» على مسافة ستة وثلاثين ميلاً، أدركت أن الهروب بعيداً لن يزيل ألمها، فهو يحتاج إلى معجزة. لذا من الأفضل أن تعود إلى المكتب وتعمل حتى تسقط من شدّة الإرهاق.

لكن في الأيام التالية، اكتشفت أن العمل قليل في المجلة ولا شيء يشغلها سوى عطلة عيد الشكر مع عائلتها التي لم تُزِل الألم المستعمر في قلبها.

وتجنبت عن عمد الذهاب إلى الكنيسة لأنها تعرف أن هوارد سيكون هناك.. وإلى أن يزول الألم، لا تريد أن تعاني من عقدة الذنب كذلك.

كم كان هوارد على حق حين قال لها إنه ليس على يكون المرء أن يكون في علاقة ما ليشعر أنه متورط عاطفياً مع شخص آخر.

هي لم تخرج أبداً في موعد مع أندريه.. عدا عن المقابلة الأولية استعداداً لكتابة مقالها، ولم يريا بعضهما سوى بضع مرات صدفة، ولدقائق مسروقة، لكنها عرفت معه شعوراً لم يسبق لها أن أحسّت به.. وهذا كل شيء..

بقيت فران تسأل نفسها كيف استطاع الوقت القصير الذي أمضته مع هذا الرجل أن يؤثر عليها بهذه القوة.

ما من شك أن قلوب عشيقاته مفطورة ومفتتة. وإذا كان الحال هكذا، فلماذا تستمر صورته بالسيطرة على أفكارها؟

كانت لياليها هي الأسوأ. تعذبها ذكريات ما أحست به معه.. إذا كان هذا هو الحب، وهذا جلّ ما تخشاه، فهي تتساءل كم سيطول عذابها.

يقال إن البعد جفاء، إذاً ربما لو بقيت بعيدة عن أندريه.. فسوف يضمحل حبها في النهاية ويموت.

***

٦ ـ حفلة حافلة

ـ جيردا.. الآن وقد استقريت مع عائلتك معي، فكرت أن نقيم حفلة بمناسبة الانتقال إلى المنزل وعيد الميلاد. أعرف أن هناك أشخاصاً ترغبين في دعوتهم. وتكون أيضاً فرصة مناسبة أشكر فيها جيراني وبعض رجال الأعمال الذين جعلوني أشعر أنني في موطني.

صفّقت جيردا قائلة: «يعجبني هذا، لكنني أودّ أن أطهو الطعام، وأزيّن المنزل بنفسي».

ابتسم أندريه برضى: «كنت آمل أن تقولي هذا، فأنا مولع بطعامك الألماني الرائع. ما زال طعمه تحت أضراسي من أيام الجامعة في زوريخ».

ـ سيكون هذا أمر رائعاً!

ـ طالما أنك معي، فهذا بيتك وافعلي ما كنت تفعلينه وأنت في سويز.

لمعت عيناها: «لقد جئت معي بكل الزينة التي لديّ، لكنها في المخزن».

ـ سنحضرها في الغد. أما الآن، فسأطبع الدعوات والمغلفات. لقد تحدثت مع «هاريف» وفكرنا أن ليلة السبت القادم ستكون موعداً جيداً للحفلة. في منتصف شهر كانون الأول، يجد الناس وقتاً للحضور. وأعطاني أسماء وعناوين بعض الزملاء في الجامعة.. فماذا عن لائحتك؟

ـ حسن جداً.. أعتقد أن من اللطف دعوة الأسقف ومستشاريه من الكنيسة هنا، الذين كانوا على اتصال معي طوال الوقت. وهناك ذلك

www.elromancia.com

الرجل اللطيف وزوجته في فرقة الغناء . . الشخصان اللذان التقينا بهما وقت العشاء تلك الليلة في زوريخ بعد العرض.

ـ أذكرهما.

ـ قالا لي أن أبحث عنهما لو جئت يوماً إلى هنا. ومنذ ذلك الوقت، أرسلا لي عدة تسجيلات، أود أن أراهما مجدداً وأشكرهما. لدي العنوان في دفتري الصغير، سأحضره لك وأعود فوراً.

ـ قبل أن تصعدي إلى فوق. . هل من أحد آخر؟

ـ إذا كنت تعني الآنسة مالوري، تلك المرأة الجميلة من المجلة، فلم أذكرها لأنني عرفت أنها ستكون أول من تسجل اسمه في لائحتك.

هز أندريه رأسه مذهولاً. . لا أسرار مع جيردا.

ولمعت عيناها: «أعرف أنك تحبها منذ أمد بعيد، ولا تعرف كم يسرّني أنك ستفعل أخيراً شيئاً بهذا الخصوص. . لقد طلبت العائلة كلها أن تلتقي بها لتكريمها لنا كما فعلت. . بالمناسبة، لمَ لا ندعو صاحب المجلة أيضاً. . هل تظنه سيأتي؟ فأنا أريد كذلك أن أشكره لإرساله الآنسة مالوري لكتابة القصة».

تمتم أندريه: «إنه اقتراح عظيم».

فالسيد كينسال رجل مهذب. . ومن الصعب أن ترفض فرانسيسكا المجيء إذا تلقى رئيسها دعوة.

ـ أنا واثق أنه سيبتهج.

ابتسمت جيردا قبل التقدم إليه، ووضعت يديها على جانبي وجهه. . قالت والدموع في عينيها الزرقاوين:

ـ كان يوم سعد حين وافقت أن تسكن معنا. ولقد كنت دائماً طيباً معي ومع عائلتي. ولن نستطيع أن نرّد جميلك بما يكفي.

تنحنح قائلاً: «لقد فعلت ما يكفي ليلة صادفتني في زوريخ وعرضت عليّ مكاناً أعيش فيه. لقد منحتني العائلة التي فقدتها».

ـ كنت حزينة على زوجي الحبيب غانتر حين التقت بك عائلتنا. ولقد ملأت فراغاً كان في قلوبنا. ومن أجل هذا سأكون دائماً ممتنة لك.

نظر أندريه إليها بوقار: «إذن، الآن وجدت طريقة أرد فيها جميلك. . وأصبحنا متساويين. . لا؟».

تنهدت من قلبها: «صحيح».

ما إن خرجت من المكتبة، حتى فتش عن عنوان المجلة.

في الأسابيع الخمسة المنصرمة، عمل جاهداً ليجد مكاناً يعيش فيه، ويؤثثه في الوقت المناسب لعائلة جيردا، حتى أنه تمكن من قضاء يوم عيد شكر رائع مع جيمي وعائلته.

طوال ذلك الوقت، كان يحاول إبعاد أفكاره عن فرانسيسكا. لكن عبثاً يحاول فصيحتها المجروحة حين طلب منها أن تخرج من السيارة كانت لا تزال تتردد في قلبه.

* * *

ـ فراني. . هل أنت هنا؟

ـ أجل بارني.

ـ اتركي ما في يدك وتعالي إلى مكتبي، من فضلك.

إذا كان يريدها فوراً، فالأمر مهم من دون شك.

صرفت النظر عن فكرة أن هذا قد يكون له شأن بأندريه. . فبعد خمسة أسابيع من التأمل المعذب، قالت لنفسها إنه من الأفضل أن يخرج من حياتها إلى الأبد.

ربما كان عملها متراخياً. وسوف يقول لها بارني إنه سوف يستغني عن خدماتها إذا لم تخرج من دوّامة الاكتئاب تلك.

ـ سأحضر فوراً.

سألها باول وهي تقف: «ما الأمر؟ تبدين أسوأ حالاً من عادتك».

كان دائم المزاح معها، في جهد ليبهجها.

www.elromancia.com

- وهل أبدو حقاً كذلك؟

- بالنسبة لي فقط. وإذا كنت تريدين الحديث بالأمر.. فأنا حاضر.

أخذت نفساً عميقاً: «أعرف.. شكراً لاهتمامك».

ما إن دخلت مكتب بارني، حتى قال لها أن تجلس.

- لدي مفاجأة لكلينا.

وكان هذا آخر شيء توقعت أن يقوله. وسألته باهتمام عما هي المفاجأة.

- حسناً.. أعرف ما هي مفاجأتي. فلم لا تفتحين مغلفك ونقارن الرسائل.

أعطاها مغلفاً معنوناً باسم الآنسة فرانسيسكا مالوري فتحته بأسرع ما استطاعت، وأخرجت دعوة مطبوعة راحت تقرأ ما جاء فيها.

«تتشرف السيدة ريشتر بدعوة الآنسة فرانسيسكا مالوري، وضيف آخر، لحضور «بوفيه» مفتوح بمناسبة عيد الميلاد، ليلة السبت، من الساعة السابعة حتى التاسعة».

- جيردا ريشتر؟

كان أي ذكر لأندريه يجعل نبضاتها تتسارع: «لكنني ظننت أنها تعيش في زوريخ!».

- ربما تقيم مع أصدقاء أو عائلة هنا لفترة الأعياد... وهذا عنوان «فيدرال هايتس».

- إحدى المناطق المفضلة لدي في المدينة. تلك المنازل القديمة كلاسيكية.

- لكن السكن هناك باهظ جداً.

- أنت محق في هذا.

- لماذا لا نذهب أربعة أشخاص.

- أربعة..

- هيا الآن فراني، لا تلعبي دور الخجل معي. دعوتك تقول إنه من المفروض أن تأتي معك بضيف.. وهذا لا يعني أنني لن أستمتع بصحبة زوجتي وكاتبتي المفضلة.. لكن، ألا تعتقدين أن الوقت قد حان لتتوقفي عن الحزن على ذلك الرجل، وتعودين إلى طبيعتك؟

أحست بحرارة وجهها: «أنا لست حزينة!».

- كان يمكن أن تخدعيني. قد لا أكون طبيباً، لكن أستطيع القول إن لديك أسوأ حالة حنين للحب شاهدتها منذ زمن بعيد.

قالت مصرة بصوت مرتجف: «سيزول هذا».

يجب أن يزول.

- ليس من دون مساعدة. أليس من رجل آخر في الكون قد تستمتعين بقضاء بضع ساعات معه؟ الطريقة الوحيدة للتخلص من آثار الحب، هي إشعال نار جديدة، وإلا فستبقى صورة السيد بينيت تعذبك.

ابتسمت له بالرغم من ألمها.

وضحك معها: «هذه هي ردة الفعل التي أحب أن أراها. الآن تعرفين لماذا أدير أنا المجلة وأترك الكتابة لك».

لقد آن الأوان للأخذ بنصيحة بارني.. يجب أن يزول الألم، وإلا كيف ستستمر في العيش هكذا. وإذا لم تقم بجهد لتتغلب على ذكراه، فسيبقى شبحه يطاردها دائماً.

حين اتصلت بهوارد، استطاعت أن تؤكد له أنها هذه المرة تعني ما تقول.

قالت: «اسمع.. هناك رجل. وأعتقد أنه سيذهب معي إذا لم يكن هناك امرأة تضع طفلها في الوقت ذاته».

- رائع.. خططي للقاء «ريبا» ولقائي هناك. وسنفكر بالتفاصيل في الأسبوع القادم.

- هذا جيد، أتعرف بارني.. لطف من جيردا أن تدعوني. لكنني لا

www.elromancia.com

أستطيع القول إنني مندهشة. فمنذ رأيتها عرفت أنها لطيفة وكريمة.

ـ أنا متشوق للتعرف إليها شخصياً فقدحققت تلك النشرة بالذات أعلى أرقام مبيعات حتى اليوم هذه السنة.. والفضل لخبرتك ولوجهها بالطبع.

وأسعد المديح فران.

قد تكون هذه نقطة تحول جديدة لها، ولم يكن لديها فكرة عما يخبئه القدر لها ولهوارد. لكن، قد تكون هذه بداية في الاتجاه الصحيح، ولن تنظر إلى الخلف.. أبداً.

***

أشعل أندريه الشموع أمام مغارة الميلاد ثم نظر إلى غرفة الجلوس والردهة في منزله الجديد بإحساس عميق بالرضى.

لطالما أحب هذا النوع من المنازل الخشبية التي رآها خلال سفره.

وحين قام ببحث جدي عن منزل مع الوسيط العقاري، ناتالي كابرنز، تلك المطلّقة المذهلة الجمال، لم يدرك كم أن ما فكر به جميل.

يومين من البحث لم ينتج عنهما شيء. وفي اليوم الثالث بدأ يفقد الأمل بإيجاد ما يريد. وافترض أنه سيشتري أرضاً ويستخدم مهندس بناء.. إلى أن وصلا أخيراً إلى منطقة «فيدرال هارتس». فعرف في الحال أن منزل أحلامه سيكون هنا.

وثبت أن داخل المنزل كان فاتناً مثل خارجه، بسقفه المرتفع، وموقد النار والمكتبة المكسوة بخشب الجوز، التي ستحتوي على مئات من الكتب جمعها عبر السنين. في الواقع، كان قداشترى كتباً كثيرة وضعها في مخزن، ولم يحلم أنه في يوم ما سيكون له بالفعل مكان يستخدمها فيه.

ست غرف نوم وخمسة حمامات.. وسيكون هناك الكثير من الغرف لجيردا والأولاد والأحفاد.. ويمكنهم إشغال الطابق العلوي بينما يسكن هو في غرفة النوم الرئيسية وحمامها في الطابق الأول.

وأشارت له ناتالي أن المكان قريب من الجامعة، إضافة إلى دار الأوبرا

وقاعة السيمفونيات.

وبدا كل شيء مناسباً. ودفع لها العربون فوراً.

وبينما كان ينظر إلى الشجرة المزينة، أدرك أنه أوجد لنفسه ملاذاً سوف يحقق له سنوات طويلة من السعادة.

كان قد وضع صورة والده التي أهدته إيّاها فرانسيسكا.. مع صورة لأمه في إطار خشبي مماثل، فوق مكتب فرنسي قديم يعود للقرن السابع عشر، وكان من ممتلكات خالته ماودل الثمينة.. كما وضع عدة صور لها ولأمه تخليداً لذكراهما.

بينما كانت جيردا والعائلة منهمكين باللمسات الأخيرة، راح هو يشعل النار في الموقد. سيبدأ الضيوف بالوصول بعد دقائق. وإذا سار كل شيء حسب ما هو مخطط له، ستكون فرانسيسكا واحدة من الضيوف.

منذ الصباح، وهو يحاول التخفيف من خفقان قلبه.. لكن فراقه عنها كان طويلاً. ولم يعد قادراً على السيطرة على مشاعره.

صاحت جيردا من غرفة الطعام: «وصل أول الضيوف، سأفتح الباب».

بقي أندريه مكانه، إذ توقع أن تكون ناتالي. فقد كانت تزور المنزل دائماً في المرة الأخيرة.

لقد أوضحت له منذ البداية، أنها تريد أن تكون بالنسبة إليه أكثر من مجرد وكيلة عقارية. ومع أنه يعرف أن مثل هذه العلاقة لن تصل إلى أي مكان أبداً، إلا أنه لم يثبط من عزمها، لأنه يحتاج إليها لمساعدته ولعدة أسباب.. كما أنها شخصية مثيرة للاهتمام.

لكن، حين دخلت غرفة الجلوس مسرعة وهي ترتدي فستان سهرة أحمر اللون، وحيته بقبلة طويلة على الخد، رأى الشوق في عينيها، ما جعله يدرك أن عليه أن يوقف هذا، قبل أن يجرح مشاعرها.

قالت: «هذا منزل رائع يا أندريه.. وأعني رائع حقاً. الأثاث جميل،

ولا أتصور أن أحداً في المنطقة كلها يملك تحفاً قديمة أرفع شأناً.. أعني، أنظر إلى ذلك الموقد الروسي العظيم، والبيانو والسجاد».

ـ أنا سعيد لأنه يعجبك.

استدارت لتواجهه: «يعجبني؟ هل من خطب الليلة؟ تبدو مشغول الفكر كثيراً».

ـ ربما لأنني مشغول الفكر فعلاً. لكن، الشكر لك ولكل مساعدتك لي، أظن أن الحفلة ستكون ناجحة.

حين رن جرس الباب مجدداً، توقف قلبه عن الخفقان، وقال: «أرجوك، تصرّفي وكأنك في منزلك يا ناتالي.. أعتقد أنه عليّ استقبال الضيوف».

وسرعان ما امتلأ المنزل بالأصدقاء والجيران وزملاء العمل. وبينما كان الجميع يجول في المكان معجباً بالأثاث وبطعام جيردا، كان أندريه يشارك في الأحاديث بالإنكليزية والألمانية.. ويصغي لرنين الجرس.

في كل مرة يفتح بها الباب الأمامي، كان يتوقع أن يرى وجه فرانسيسكا الجميل. لكن مع تقدم الأمسية، وبلوغ الساعة الثامنة والربع، استنتج أنها وصاحب المجلة لن يأتيا. وكانت خيبة أمله مريرة.

ربما لم تصل الدعوة، أو من الممكن إنها لا تزال مرمية على طاولة السكرتيرة، وإلا لكانت فرانسيسكا ورئيسها بعثا برسالة اعتذار.

انضمت إليه ناتالي في غرفة الجلوس ودست ذراعها في ذراعه: «أندريه؟ أنت هادىء جداً بحيث اقتنعت أنك لست على ما يرام.. بعد أن يعود الجميع إلى بيوتهم، سأبقى لأساعد في التنظيف».

قبل أن تتاح له فرصة القول بأنه استخدم شركة تنظيف للقيام بهذا العمل، رن جرس الباب. واستدار رأسه بحدة في الوقت المناسب ليرى هاريف يفتح الباب الأمامي.. وفجأة دخل أربعة أشخاص إلى الردهة الأمامية.

وإذ وقع نظر أندريه على فرانسيسكا جمدت أنفاسه في رئتيه.

كانت قد أسدلت شعرها الأشقر الناعم هذه الليلة.. فتدفق كالغمامة حول كتفيها. وكانت تشع كالملاك بثوبها الطويل المخملي الذي يحتضن ثنايا جسمها.

اتجه نحوها، لكن جيردا وصلت إليها أولاً. وتصافحتا، ثم حضنتها مرحبة.. وفي تلك اللحظة بالذات التقت عينا فران بعيني أندريه. وكان قريباً منها بما يكفي ليسمع الشهقة التي أفلتت من حنجرتها.

قالت مقطوعة الأنفاس، والعينان الخضراوان تظلمان بسبب الصدمة: «أندريه؟».

اعتقد أندريه أنها تبدو على وشك الإغماء، ولأنه يعرف بالضبط ما تشعر به، لا شيء كان يمكن أن يسعده أكثر.

ـ مساء الخير يا فرانسيسكا.

ـ أنت.. جئت.. من أجل حفلة جيردا؟

بدأت جيردا تضحك: «أوه لا يا عزيزتي. هذا منزل أندريه الجديد.. عائلتي وأنا ضيوف لديه إلى أن نستطيع شراء منزل لنا، فنحن مثل أندريه، قررنا أن نجعل من بحيرة الملح موطناً لنا. وكان لطيفاً بما يكفي بأن يدعني أدعوك إلى حفلة تدشين بيته، ويجب أن أقول لك، إنه كابن آخر لي وأنا أناديه «ماين شونز» أي كنزي».

صمتت قليلاً: «والآن، لماذا لا تعرفينني بهذا الرجل الأشقر الوسيم، الذي صبر كثيراً علينا. لا أذكر أنني رأيته معك في لوس أنجلوس».

راحت كلمات أندريه الوداعية في موقف الدير، تتردد في أذنيها: «لو حدث والتقينا مرة أخرى، فاعتبري هذا صدفة مذهلة أخرى».

ربما كان من أصعب الأشياء على فران أن تبتسم وتقوم بالتعريف، بينما العالم انقلب من حولها رأساً على عقب للتو. وبدت جيردا متلهفة للحديث مع بارني.. أخيراً رافقته وزوجته إلى غرفة الطعام.. لكن فران لم

تكن قادرة على الحراك.

وقفت في مكانها مصدومة، تفكر في أنه خلال الأسابيع الخمسة الماضية، بينما هي حزينة، بسبب إمكانية أن يكونا قد غادر أميركا، لم يذهب أندريه إلى أي مكان. بل اشترى منزلاً في أرقى مناطق «بحيرة الملح». مع ذلك، لم يحاول مرة الاتصال بها.

ألح عليها صوت ضعيف «لكن، لماذا يتصل؟».

كانت هي التي ذهبت إلى أندريه آخر مرة لإنهاء الأمور بينهما إلى الأبد، حتى أنها قالت له إن هناك رجلاً آخر في حياتها. لذا لا يحق لها إطلاقاً أن تنزعج...

لكنها جُرحت.. بل الواقع أنها دُمرّت..

قاومت كي تبدأ حديثاً: «هوارد؟ أندريه بينيت هو ابن رئيس الدير الأب أمبروز، الرجل الذي كتبت عنه المقال الذي نشر في المجلة. وكان هو الذي أتم معي المقابلة مكان والده».

والتفتت إلى أندريه: «سيد بينيت.. أعرفك على الدكتور هوارد باركر».

تمتم هوارد بصوت معتدل: «لقد قرأت المقال باهتمام كبير، وأستطيع أن أرى الشبه.. كان والدك رجلاً رائعاً، ويؤسفني موته».

ـ شكراً لك دكتور باركر. كنت أتمنى لو حظيت بوقت أطول معه. هل لا زال والداك على قيد الحياة؟

ـ أجل.

ـ أنت محظوظ جداً.

أحست فران أنها مضطرة للقول: «والد هوارد رجل رائع كذلك، إنه قسيس كنيستي».

رد أندريه وهو ينظر إلى هوارد مفكراً: «هل هذا صحيح؟ يبدو أن لدينا شيء مشترك.. فنحن ابنا رجلين خصصا حياتهما للرب، ونحن على

عكسهما تماماً سرنا في اتجاه آخر».

التوى فم هوارد: «أنت على حق. في الواقع، أجد نفسي مضطراً أن أعتذر على اختيار مهنتي مرة واحدة في اليوم على الأقل».

فجأة تحولت نظرة أندريه القاتمة الثاقبة إلى فران: «هنا نختلف أنا والدكتور.. فحين يكون المرء مثلي قد سافر ورأى الكثير، ما من أحد يعرف عنه الكفاية ليعلق هكذا».

بينما كانت فران تحاول ألا تتأثر بتعليقه الموجّه إليها، سأله هوارد: «ماذا تعمل؟».

لم تستطع فران أن تصدق بأن الرجلين يتحدثان هكذا، وكأنهما يستمتعان.

ـ عدا عن الوقت الذي ذهبت فيه إلى الجامعة في سويسرا، أمضيت معظم أيامي في البحر. وأنا الآن أتعاطى أمور الاستثمار في مجالات متعددة.

أي جامعة؟ وأي نوع من الاستثمارات؟

ـ أندريه؟

تناهى إلى سمع فران صوت امرأة غير مألوف، انتزعها من أفكارها.. أدارت رأسها في الوقت المناسب لترى امرأة جميلة بنية الشعر، في فستان أحمر، تتقدم نحو أندريه، وتمسك ذراعه بثقة. وأحست فران أنها طعنت أكثر من مرة في قلبها.

ـ لا أعتقد أنني قابلت ضيوفك من قبل.

رد بلطف: «هذه ناتالي كارنتر، الوكيلة العقارية. بدون مساعدتها لما عرفت أن هذا المنزل معروض للبيع. ناتالي، أقدم لك فرانسيسكا مالوري محررة في مجلة «بيبايف» وصديقها، دكتور هوارد باركر.. الطبيب النسائي الجديد في البلدة».

لمعت عيناها البنيتان في وجه هوارد: «حقاً؟ هل تحتاج إلى مساعدة لتجد مكاناً تسكن فيه؟».

www.elromancia.com

- في الواقع أجل.

رفرفت فران عينيها.. ولم تستطع أن تصدق أن أيّاً من هذا يحدث..

- كنت أقيم مع والديّ وأنا أهتم بتدريبي. لكنني الآن متلهف لأجد مكاناً خاصاً بي، ربما شقة. لكنني بالطبع أفضل منزلاً مثل السيد بينيت.. إنه منزل غير عادي، لكنني فقير، طبيب مكافح الآن. لذا لن أتمكن من رفع نظري إلى الأعلى.

وابتسمت ناتالي قائلة: «بعد سنة أو سنتين، سأكون سعيدة أن أجد لك شيئاً يماثله جمالاً.. وفي هذه الأثناء، دعني أعطيك بطاقتي قبل أن تغادر الحفلة، وسنتصل ببعضنا هذا الأسبوع. حقيبة يدي في الطابق الأعلى.. لو عذرتني دكتور باركر، سأعود على الفور».

وهمست بشيء قرب خد أندريه قبل أن تسرع مبتعدة.

ألفتها مع أندريه، كانت أكثر مما تستطيع فران أن تتحمله. واحتاجت أن تكون لوحدها لتستعيد رباطة جأشها.

- هوارد؟ بينما تنتظرها أنت، سأذهب إلى غرفة الطعام.

- فكرة جيدة، سأنضم إليك بعد قليل.

ومن دون أن تنظر إلى أي من الرجلين، أسرعت إلى الردهة المؤدية إلى غرفة الطعام الساحرة بطابعها القديم وسقفها المرتفع.

تنفست بحدة أمام جمال الشموع، والطاولة المهيبة بأزهارها. وكانت شجرة الميلاد تقف في إحدى الزوايا، تزينها أضواء حمراء صغيرة.

همس أندريه في أذنها: «لقد صنعت جيردا كل هذه الأطباق. تذوقي الفطائر بالتفاح والقرفة.. إنها وصفة عائلية قديمة لذيذة جداً».

عند سماع صوته المنخفض، كادت فران توقع الصحن الذي تحضره لهوارد..

صاحت بصوت يرتجف: «ماذا يجري يا أندريه؟ آخر مرة كنا فيها معاً تركتني أعتقد أنني لن أراك مرة أخرى. وافترضت أنك عدت إلى البحر».

وعضت شفتها في جهد للسيطرة على مشاعرها: «و.. وأنا الآن.. أجدك هنا. تعيش في هذا المنزل الجميل مع جيردا وعائلتها».

سألها بصوت ناعم: «هل أعجبتك الأشياء التي امتلكتها خلال السنين؟ فكرت أن أخرج كنوزي من صناديقها وأجد لها مكاناً دائماً. إنها تتناسب جيداً مع هذا المنزل، ألا تظنين هذا؟».

وجدت فران صعوبة في التقاط أنفاسها، وقالت بصوت مرتجف: «أنت لست بحاجة أن أرد على هذا السؤال. أرجوك يا أندريه، قل لي الحقيقة. لماذا فعلت كل هذا؟».

تفحصها عبر أهدابه، بحيث لم تستطع قراءة تعبير عينيه. وقال بنبرة حادة كالسيف: «تعرفين جيداً لماذا. أنت السبب الوحيد لاستقراري هنا».

اتسعت عيناها لصراحته الجريئة: «لكن..».

قاطعها قبل أن تكمل: «لم أخبرك شيئاً في لقائنا الأخير لأنك، إذا كنت تتذكرين، ادعيت أنك جئت إلى الدير لإنهاء الأمور بيننا كراشدين.. وقلت كذلك إن في حياتك رجلاً هاماً.. الدكتور باركر هو ذلك الرجل.. أليس كذلك؟».

غير موضوع الحديث بسرعة البرق، وتسارع قلبها أكثر. ستكون كاذبة لو قالت لا: «لقد عرفت هوارد منذ كنت فتاة صغيرة».

- تبدوان متناسبين. فله العائلة المناسبة، وكل المصداقيات المناسبة.. وأستطيع أن أرى في عينيه، أنه مجنون بك.

- كفى.. أندريه.

- يعجبني الدكتور باركر، وأعتقد أنك التقيت بمن يناسبك يا فرانسيسكا. وأعتقد أنه سيبقى مخلصاً لك حتى نهاية أيامك.

أخذت ترتجف بشدة، حتى اضطرت أن تضع الطبق من يدها.

- هل يعلم أنني الرجل الذي كان قلقاً منه؟

- بعد هذه الليلة، أنا متأكدة أنه سيعرف.

ـ وكيف؟

همست بحرارة: «تعرف السبب. فإلى أن رأيتك خلف جيردا، لم يكن لدي فكرة أن هذا منزلك، أو أنني وبارني مدعوان إلى حفلتك.. ولا يمكن لهوارد ألاّ يرى صدمتي».

ـ لقد تعامل معها بشكل يثير الإعجاب.

ـ أرجوك.. هل يمكن أن نتوقف عن الكلام عنه؟

ـ طبعاً. بماذا تريدين أن نتكلم؟

أشاحت بعينيها عنه: «لسنا.. بحاجة أن نتكلم في أي شيء. لديك عشرات الضيوف».

ـ أفضل الكلام معك.. للحقيقة، أفضل أن أفعل أكثر من الكلام معك. لقد مر وقت طويل يا فرانسيسكا.

يا إلهي!

لقد لامس موضوعاً أبقاها صاحية لليال كثيرة.

وأكمل: «قد يكون لي سيئات كثيرة.. لكنني لست رجلاً يكذب بشأن مشاعره.. لقد رغبت بك اللحظة التي دخلت فيها الدير.. وما زلت أريدك».

وأخذ جسمها كله يرتجف: «في أعماقي أعرف أنك تريدينني أيضاً».

ردت عليه بحدة، لأنها كانت تتألم: «وكذلك ناتالي».

ـ كنت بحاجة إلى وكيل عقارات. ودعوتها إلى الحفلة لأرد لها جميل عملها الجاهد معي. وبعد الليلة، لن أراها مرة أخرى. فأنت المرأة الوحيدة التي أهتم لها.

صاحت به: «حتى متى؟».

ساد توتر غريب بينهما: «يمكنني أن أسألك السؤال ذاته. هل تعتقدين حقاً أن الرجال وحدهم هم من يخون؟ هل لديك فكرة عن عدد البحارة المتزوجين الذين أخلصوا لزوجاتهم، ليعودوا إليهنّ بعد سفر طويل،

فيجدونهن مع آخر؟».

الواقع أنها لم تفكر بهذا السؤال من قبل. وتراجع رأسها إلى الوراء لتنظر إليه: «أتظن أنني قادرة على فعل هذا؟».

غطت تكشيرة قسمات وجهه، وقال بوقار: «ليس لدي فكرة».

حدقا ببعضهما طويلاً وبقسوة إلى أن اعترفت: «أنا.. أدرك أن ما من ضمانات».

ـ الرجل والمرأة القويان بما يكفي، يجتمعان وتكون لهما الإرادة أن يخاطرا.. والداي خرجا معاً لآخر مرة وهما يعرفان تماماً أنهما لن يريا بعضهما مرة أخرى.

صمت قليلاً: «وتمزق قلب أبي لأنه كان يحبها، مع ذلك أحس بدعوة الرهبنة، وكانت أمي تعرف هذا، وأبقت سر حملها لنفسها، ولأنهما خاطرا، ماتت وهي تلدني».

صاحت بصوت منخفض: «أوه.. أندريه..».

وذاب قلبها على الصبي الصغير الذي حزن على أبوين حرم منهما.

وأكملت: «لست أدري كيف تمكنت من تحمل موت والدك كما فعلت».

ـ هذا لأننا عقدنا صلحاً مع بعضنا قبل أن يموت.. فهل يمكن أن تفعلي هذا يوماً مع والدك، أياً يكن ما فعله بك؟

هزت رأسها نفياً: «لا أريد أن أراه».

ـ أحسست بالشعور نفسه حين اعترفت الخالة ماودل على فراش الموت أن والدي لا يزال حياً في مكان ما في العالم..

ـ من الواضح أنك أقوى مني.

كانت مشاعرها مضطربة بحيث كان من المستحيل التفكير بوضوح.

ـ أندريه.. أعتقد..

ـ فران؟

وإذ سمعت اسمها، استدارت بإجفال لترى هوارد يسير نحوها

بسرعة.

- بينما كنت أناقش أمر الشقق مع ناتالي، تلقيت استدعاء على جهاز الإنذار، ويجب أن أذهب إلى المستشفى.. مريضتي على وشك أن تلد، وسيوصلك بارني إلى البيت.

خوفاً من أن تبقى لوحدها مع أندريه، قالت: «سأرافقك».

هز رأسه: «ليس لدي فكرة كم سأغيب، وأفضل أن تبقي هنا وتستمتعي بالحفلة».

ولو أنه لم يُظهر شيئاً، إلا أن فران عرفت أنه منزعج، ومد يده لأندريه: «شكراً على ضيافتك.. وآسف لاضطراري إلى المغادرة».

- أفهم هذا. وشكراً على مجيئك.

نظر هوارد إلى فران متسائلاً: «فران؟ سأتصل بك غداً».

كانت تود أن تطلب منه الاتصال هذه الليلة، لكن مع وقوف أندريه هناك وسماعه كل كلمة، كان التوتر ملموساً حتى أنها شعرت بأن هوارد سيرفض هذا الاقتراح أيضاً.

- سأكون بالانتظار.. وآمل أن يسير كل شيء على ما يرام.

وأحنى هوارد رأسه لهما قبل أن يبتعد.

ما إن غادر غرفة الطعام حتى سمعت أندريه يقول: «زواجك من طبيب نسائي له تحدياته.. لكن كل علاقة مهمة تتطلب التضحية».

شدت فران على فكها: «لو عذرتني..».

- أين تظنين نفسك ذاهبة بسرعة هكذا؟

وأمسك بمعصمها.

صاحت مذعورة لأن لمسته أشعلت مشاعرها: «أرجوك.. أتركني.. سيلاحظنا الناس».

- لن يلاحظوا إذا لم تفتعلي مشكلة.. والآن أخبريني لماذا أنت غاضبة؟

- لأنك خططت لكل هذا!

- بإمكانك لومي قدر ما شئت. لكن، ليس لدي القوة الكافية لأدفع امرأة إلى العمل بإشارة مني.

- تعرف تماماً ما أعنيه.

- إذا كنت تشيرين إلى هذه الحفلة، فأنت محقة. فقد أقمتها لأجعل جيردا وعائلتها يشعروا أنهم في موطنهم. إنهم غرباء في بلد غريب، يريدون الانتماء. وأنا أعرف هذا الشعور جيداً.

ها قد عاد مجدداً، يحاول إثارة شفقتها. قالت عبر أسنان مشدودة: «لو عرفت أن هذا منزلك، لما جئت أبداً».

- كنت تعرفين أن جيردا صديقة مقربة لي. فهل تستطيعين صادقة أن تقولي لي إنك لم تأملي أن أكون هنا؟

قالت تعترف على مضض: «إن فعلت هذا فبلا وعي مني، وإلا لما دعوت هوارد لمرافقتي.. إنه آخر شخص في العالم أريده أن يتألم».

- لا يمكن أن يتألم إذا لم يكن هناك شيء بينك وبيني. لكن، وكما عرفنا جميعاً الليلة، لا يمكن تجاهل الحقيقة أكثر من هذا.

بدا مسيطراً على مشاعره: «سأوصلك إلى منزلك فيما بعد».

بدأت ساقاها ترتجفان: «لا أندريه.. سأغادر مع بارني».

- افعلي هذا وسأتبعك بسيارتي.

صاحت مذعورة: «لا يمكنك ترك ضيوفك».

- راقبيني.

- أندريه.. أرجوك..

- قولي هذا لي ونحن لوحدنا، ولسوف أخلصك معي من بؤسنا. والآن أقترح أن تعودي إلى الغرفة الأخرى وتدعي رئيسك يعرف أن لديك وسيلة نقل أخرى إلى منزلك، أم أفعل أنا هذا عنك؟

طوال كلامه، كان يمرر إصبعه على راحة يدها قبل أن يتركها.. ولم تعرف ما إذا كانت الحركة مقصودة أم لا. لكنها أرسلت شعوراً لم يستطع

elromancia.com

جسمها أن يتجاهله.

خرجت متوترة من غرفة الطعام لتضع مسافة بينهما. وإلى أن وجدت بارني في غرفة الجلوس يتحدث إلى مجموعة من الناس كانت مخطوفة الأنفاس.

ما إن رآها رئيسها، حتى تقدم نحوها وقال ضاحكاً: «كنت أتمنى لو أنك شاهدت النظرة التي كانت على وجهك منذ قليل.. إنها تصلح صورة للغلاف».

إذن، لقد رأى بارني الكثير.

أجلت حنجرتها: «أين ريبا؟».

ـ في الحمام، لقد سكبت الشراب على فستانها وأرادت تنظيفه قبل أن يجف.. وبما أننا لوحدنا الآن، فلماذا لا تخبريني لماذا سمحت لتلك الجميلة بالفستان الأحمر أن تحشر هوارد قبل ذهابه إلى المستشفى.

ردت مدافعة: «أنا لم أسمح بشيء، فبعد أن عرف أنها وكيلة عقارية، هو الذي أراد مناقشة العمل معها».

بدا أن بارني يفكر بردها قبل أن يقول: «ما أن تعود ريبا، حتى نغادر الحفلة معاً، وسأوصلك إلى البيت».

قالت بصوت منخفض: «في الواقع، عرض عليّ أحدهم أن يوصلني.. لكن شكراً لك على أي حال».

لا فائدة من الكذب على بارني، فهو يعرف كل شيء: «طرق السيد بينيت غير عادية، لكنها نافعة.. لقد حقق ما لم أتوقع رؤيته في حياتي».

ـ عمَّ تتكلم؟

ـ لماذا لا تخبريني يوم الاثنين صباحاً ونحن في المكتب، إذا كنت تجرؤين. ليلة سعيدة يا فراني.

ولامس خدها مداعباً قبل أن يتركها لوحدها تتأمل ما ينتظرها بخوف وارتباك.

٧ ـ سامِحْني

وجدت فران نفسها تنظر بذهول إلى الصورة المعلقة بجانب تلك التي أهدتها لأندريه.

كان للمرأة الشابة في الصورة، شعر أسود طويل وعينان سوداوان تشبهان عيني أندريه.

كانت أمه جميلة تخطف الأنفاس.. مثل ابنها تماماً.

من المحزن أنها ماتت دون أن تتمكن من تربية ابنها الصغير ورؤيته يكبر ليصبح رجلاً جذاباً بشكل لا يصدق.

توجهت إلى الجهة الأخرى من الغرفة، منجذبة إلى كل ما يتعلق بأندريه، لتتطلع إلى مجموعة من الصور الصغيرة فوق خوان قديم إيطالي الصنع.

كان أندريه يبدو فيها بين التاسعة والعاشرة من عمره في بنطلون قصير وقميص، ويده في يد امرأة مسنة، لا بد أنها خالته.. وبدا طويل القامة بالنسبة لسنه.

وتألمت فران للألم الذي اضطرت عائلته كلها أن تتحمله.

خشية أن تبدأ بالبكاء، وضعت الصور من يدها وأسرعت خارجة من غرفة الجلوس، متلهفة أن تجد مكاناً تكون فيه لوحدها. في آخر الردهة، لمحت مكتبه.

وأذ دفعتها حاجتها إلى معرفة كل شيء عن أندريه، تطلعت إلى

www.elromancia.com

الداخل.. ولارتياحها لم يكن هناك أحد.. أقفلت الأبواب واقتربت من المكتبة.

بدا لها أن أندريه هاوي تاريخ.

على عكس حديثي النعمة الذين يقيمون غرفة في منزل مثل هذا لمجرد العرض، كان قد أمضى سنوات عديدة في البحر وقرأ على الأرجح كل كتاب وقع عليه نظره.

مررت أصابعها فوق أحد الكتب، ثم أخذت آخر، مأسورة بهذا الكنز من المعلومات.

أحست فجأة بيدي رجل تهبطان على كتفيها.

صاحت بصوت خافت: «أندريه..».

وفي اللحظة التالية، انزلق الكتاب الذي تحمله إلى الأرض الخشبية المزخرفة.

همس في أذنها: «أنا مسرور لأنك وجدت موضوعاً يثير اهتمامك. لكن، الآن وقد أصبحنا لوحدنا، أستطيع التفكير بشيء أكثر إرضاء لكلينا.. أخيراً أضمك إلى ذراعي هكذا..».

وتحركت يداه إلى ذراعيها ثم خصرها، يضمها إلى جسمه القوي الصلب.

استدارت عاجزة بين ذراعيه.. لحظة ضمها إلى صدره، ضاعت في أحاسيس هزت كيانها.

ودون وعي منها، لفت ذراعيها حول عنقه، متلهفة للاقتراب منه.

تمتم بصوت أجش: «أريدك يا فرانسيسكا».

أكمل همساً:

ـ تلك الأشهر التي أمضيتها بعيداً عنك، عاجزاً عن فعل أي شيء إزاء الشوق المتنامي في داخلي، أفقدتني صوابي. أريدك أكثر من أي شيء أردته في حياتي.

ولم يكن لفران أي دفاع ضد هذا الاعتراف، لأنها كانت تشعر بما يشعر. وأنبأها حدسها بأنه لم يكن يكذب.

قالت بصوت يرتجف: «وأنا أريدك، أندريه.. لكن..».

آهة الرضى العميقة التي صدرت عنه تجاهلت احتجاجها. وهمس: «ابقي معي يا حبيبتي».

ودّت أن تفعل ما يطلب منها، لكنها قالت: «أرغب في البقاء معك يا أندريه.. لكن أنا.. لن أستطيع!».

نظر إليها بعينيه السوداوين، ويداه تمسكان بها، ثم سأل: «لماذا؟ لن أفعل شيئاً لا تريدينني أن أفعله. ألا تعرفين أنني لن أؤذيك أبداً؟».

وكانت تعرف هذا.

ـ أنت لا تفهم. ليس هذا هو السبب يا أندريه.

ـ لدي حل، كنت أفكر به منذ مدة.. سوف نذهب إلى «نيقادا» ونتزوج الليلة.

شهقت فران وانقلب قلبها رأساً على عقب ورفعت رأسها تنظر إليه بعجز: «نتزوج..».

شدّد من احتضانها: «كان يجب أن أطلب يدك أولاً. لكنني أعرف إنك لا تثقين بالرجال».

ارتجفت بين ذراعيه، لأنه فهمها جيداً.

وأكمل يسأل بصوت أجش: «ألا تعرفين أن آخر ما أريده هو علاقة عابرة؟ لماذا تظنينني اشتريت هذا المنزل، لو لم يكن للعيش فيه مع عروستي؟ أنا لم أطلب من قبل أي امرأة للزواج.. لكنني أطلب منك هذا».

تعلقت به مصدومة.. لقد طلب منها لتوه أن تصبح زوجته.

قال، وشفتاه مدفونتان في شعرها الحريري: «اقترحت أن نتزوج في نيقادا لعدة أسباب. أولاً، أنا أريدك الليلة يا حبيبتي. سيكون من الصعب علي، بل من المستحيل، أن أمنع نفسي من الابتعاد عنك. والزواج سيعطينا

www.elromancia.com

الحرية أن نحب بعضنا بالطريقة التي نريدها.. ثانياً، أعرف أنك مهتمة بالدكتور باركر، ولا أريد أن أؤله بالطلب من والده أن يزوجنا أمام عائلتك وزملائك وبما أننا لن نستطيع الزواج في كنيستك دون أن نتسبب بالألم للآخرين، فمراسم بسيطة خاصة في نيڤادا ستفي بالغرض..».

صمت قليلاً، ثم أكمل بصوت منخفض: «قدرنا أن نكون معاً فرانسيسكا. تعرفين هذا بقدر ما أعرفه.. وتعرفين كذلك أن كل ابتعاد كان يمزقنا أكثر فأكثر. والليلة، نستطيع وضع حد لعذابنا».

أكمل بصوت مرتجف: «فكّري بعرضي. وحين أعود إلى هذه الغرفة، أريد رداً».

قالت بألم: «أندريه..».

وانتزعت نفسها من أحضانه. وقالت: «لا يمكن أن تقول هذه الأشياء لي ثم تتوقع أن أعطيك رداً في بضع دقائق!».

جاء رده المقتضب: «لقد توقعت هذا.. أنت وأنا كان افتراقنا أشهر طويلة لنفكر بوضعنا. والليلة وصلنا إلى نقطة اللاعودة.. إما أن نكون معاً، أو لا نكون. والأمر عائد لك».

وما لبث أن اختفى من المكتبة ليتركها تتخبط في توترها.

كانت تعرف في كل ذرة من كيانها أنه يعني ما قاله. حتى أنه اشترى هذا المنزل، مما يعني أنه تخلى عن حياته في البحر ليتزوجها.

صحيح أنهما قضيا وقتاً قصيراً معاً، لكنها عرفت الأشياء المهمة في حياته وخلفيته العائلية. وقابلت صديقه جيردا وعائلتها الذين يحبونه كثيراً.

ثم أنها وقعت في حبه.. ولأشهر أرادت، وحلمت بحبه دون أن يرافق هذا أي إحساس بالذنب.

فكرة الزواج به الليلة سوف ترضي تلك الحاجات، وتشرّع ما يحسان به.

ولقد كان أندريه محقاً في كثير من الأمور. فبذهابهما إلى نيڤادا، سينجنبان وضع عائلة باركر في موقف لا يحسدون عليه. هذا عدا ذكر والدة فران التي تأمل في سرها أن تتزوج ابنتها من هوارد.

لكنها تعرف أنها لو رفضت الزواج منه، فسيسافر، وتخسره إلى الأبد.

لقد عاشت ألم الافتراق عنه في الماضي. ولو تركته يبتعد عنها هذه المرة، فستموت حزناً.

لا فائدة من الكذب على نفسها بعد الآن. فمنذ تلقت دعوة جيردا، راحت تصلي في سرها أن يكون أندريه في الحفلة.. وألاّ يكون قد خرج من حياتها إلى الأبد.

وبما أنها لا تستطيع أن تفكر بالحياة من دونه.. ولأنها ترفض علاقة عابرة معه.. فقد بدا الزواج الحل الوحيد.

في أعمق أعماق كيانها، أدركت فران أنها تحبه بشكل يتعذر تجاهله.. ولقد عرف قلبها هذا منذ اللحظة التي التقيا فيها في الدير.

بالطبع، ليس لديها فكرة كم سيصمد زواجهما، ولم تتوقعه أن يطول. وبما أن إخلاصها له ليس قيد التساؤل هنا، إلا أن عليها أن تنتظر حتى يقرر هو أنه سئم منها. وهذا هو الثمن الذي عليها أن تدفعه لحبها له.

قررت أن تجده قبل أن تفقد شجاعتها، وغادرت المكتبة بسرعة.. ثم صاحت بدهشة حين اصطدمت به خارج الأبواب الزجاجية.

ـ أوه..

أطبقت ذراعا أندريه حولها. وحين رفعت نظرها إليه، بدت لها قسماته المذهلة وكأنها محفورة من حجر. وكان جسمه بقساوة الصخر.

ـ هل أنت خائفة إلى هذا الحدّ من مشاعرك وتخشين مواجهتي، وتلجأين إلى التسلل من البيت كلص ليلي؟

هزت رأسها: «لا أندريه.. لم أكن هاربة. لقد أسأت فهمي.. خرجت لأجدك وأقول لك.. إنني.. سأتزوجك».

شعرت بأنه تسمر مكانه مقطوع الأنفاس.

وسأل بصوت منخفض متردد: «أتعنين هذا؟».

ابتلعت فران ريقها بصعوبة: «أجل.. أعنيه».

وأدركت أن لا عودة إلى الوراء الآن.

لم تستطع قراءة التعبير في عينيه.. لكنها أحست بشيء من التوتر يتركه، ودعكت يداه كتفيها بإصرار متزايد، ليرسل البهجة تنتشر في جسمها.

ـ هذا كل ما كنت أحتاج أن أسمعه.

قبل أن تستطيع القول له إنها تحبه، عانقها بقوة، وأحست بالسعادة لتمكنها من الاستسلام لموجة المشاعر الحارقة التي تهدد بالتهامها.

قال بصوت خشن: «مدينة «إلكو» تبعد ثلاث ساعات من هنا.. يمكن أن نتزوج ونبيت الليل هناك».

قالت: «يجب أن أكون في بيتي صباح الغد، سيتصل بي هوارد في شقتي و..».

قاطعها أندريه: «أعرف أن الأمور لا تزال عالقة بينكما.. سنعود في الوقت المناسب، لكنني الآن، لا أستطيع التفكير سوى بأن أجعلك زوجتي. ونظراً للظروف، تبدو لي هذه الساعات الثلاث دهراً وأنا لا أنوي إضاعة ثانية أخرى.. دعينا نذهب».

سارت فران معه ذاهلة، وهو يداعب كتفها بأصابعه الدافئة.

صعدت إلى سيارته وما إن استقرا فيها، حتى انطلقا. خطر ببالها أنها لم توضب لنفسها حقيبة، ما عدا حقيبة يدها.. لا فرشاة أسنان، لا ملابس.. لا شيء.

بدأت تتكلم: «أندريه..».

لكنه أسكتها.

ـ لا تفسدي الأمور يا فرانسيسكا. لمرة واحدة في حياتك، انسجمي مع

أحاسيسك. لسنا بحاجة إلاّ لبعضنا.

وانزلقت يده إلى يدها.. وبقيت هناك، ترسل أنهاراً من الحرارة في جسدها.

بعد مغادرتهما حدود المدينة، همس: «هل لديك فكرة كم حلمت بهذه اللحظة؟».

ردت مقطوعة الأنفاس: «أنا.. أعتقد.. أنني أعرف».

ـ قبل أن ألتقي بك، كنت أراقب الرجال حين نصل إلى الميناء بعد سفر طويل في البحر.. من له زوجة وأولاد ينتظرونه، كان أول من يغادر السفينة.. صديقي، جيمي، لم يكن ينتظر السفينة حتى ترسو.. كان أول من يصعد إلى السطح ليرى شعرها الأحمر.. وحين يجدها، يصبح لها ولعائلته، وعيناه تستحيلان ناراً مشتعلة، وجسده النحيل المشدود يرتجف إثارة وترقباً.

صمت قليلاً.. ثم أكمل: «لم أكن أتصور كيف هو هذا الإحساس نحو امرأة.. أن أعيش للحظتي حين أعود إلى زوجتي وأولادي، ولا أريد شيئاً آخر».

وصمت ليدير رأسه، ويرسل إليها نظرة شملتها كلها: «.. حتى ذلك الصباح الذي عرفت فيه أنك عائدة إلى الدير مع مقالتك. وقبل أن تدخلي المحل بوقت طويل، وجدت نفسي أنتظرك، أتصورك وأنت تأتين بنور الشمس إلى الداخل... أتصور رائحة بشرتك. أتخيل كيف يبدو جسمك النحيل وأنت تسيرين نحوي».

مع كل كلمة كان يقولها، كانت فران تشعر بالإثارة والارتجاف أكثر فأكثر.

ـ حين سمعت وقع خطواتك، بدأ قلبي ينبض ويخفق. عندئذٍ عرفت أن شيئاً حدث لي. في البداية حاربت مشاعري، لكنني عجزت عن مقاومتها.

قالت تعترف بهدوء: «أعرف. لأنني أحسست بالضبط بالشيء عينه حين ذهبت إلى الدير ذلك الصباح. من المحرج كم أردت أن أراك مرة أخرى. لكن كان يطغى على تلك المشاعر ظل ذلك الذنب الرهيب. لم أستطع أن أصدق أنني أغرمت براهب نذر نفسه للرب».

وارتجفت للذكرى: «أخشى ألاّ أكون قد حاربت مشاعري بالقدر الكافي من القوة».

ـ الحمد لله.

ضغط على يدها بلطف، ثم داعب شعرها.

ـ بدوت لي ناعسة الآن. فلمَ لا ترتاحين قليلاً؟

استسلمت للنوم، ولم تستيقظ إلى أن سمعت صوت أندريه ينادي باسمها.

ـ لقد وصلنا فرانسيسكا.

طبع قبلة قوية على جبينها قائلاً برقة:

ـ لقد حان الوقت.

ـ لا أصدق أننا وصلنا.. ما كان يجب أن تتركني أنام طويلاً.. كان يمكن أن أقود عنك.

ـ لا بأس. وواضح أنك احتجت إلى الراحة.

بدأت تفتش عن حقيبة يدها:

ـ ها هي حقيبتك.

وبدا أن له القدرة على قراءة أفكارها.

اهتزت يداها قليلاً وهي تمرر الفرشاة في شعرها وتصحح أحمر الشفاه. ثم ترجّلت من السيارة بساقين مرتجفين، ممتنة لدعمه لها.

دخلا الكنيسة البيضاء الصغيرة حيث كان زوجان مسنان في انتظارهما.

قالت المرأة من خلف المكتب: «صباح الخير.. أنا السيدة آبيلباي. وهذا زوجي، القاضي آبيلباي.. وسيقوم بالمراسم. السيد والسيدة غرانفيل

سيكونان الشاهدين.. املأ الاستمارات الضرورية لنبدأ. هل الخاتمان جاهزان؟».

أمام ذهول فران الكامل أجاب أندريه بالإيجاب قبل البدء بتوقيع الأوراق.

سألته فران غير مصدقة: «وهل اشتريت خاتمين؟».

بابتسامة هادئة وقف أندريه وأخرج خاتماً ذهبياً من جيب بذلته.

ـ هذه هي الممتلكات الوحيدة التي تركها لي والدي قبل أن يموت. إنه الخاتم التي أعادته له أمي لأنها كانت تعرف دعوته جيداً، وحثته على الانضمام للرهبنة.. لذا احتفظ به.

رفعت فران يدها إلى فمها كي لا تبكي. هذا خاتم ثمين جداً، إنه يمثل حب والديه، إضافة إلى كفاحهما.

ـ سيكلفكما ذلك مئة دولار.. أرجوك.

أعاد أندريه الخاتم إلى جيبه، ومد يده إلى محفظة نقوده، وراقبته فران يضع ورقة خمسماية دولار على الطاولة.

ـ احتفظي بالباقي يا سيدة آبيلباي.. واعتبري المبلغ هدية مني ومن فرانسيسكا لأنكما استقبلتمانا في مثل هذه الساعة المتأخرة.

ـ هذا كرم كبير منك يا سيد بينيت. سنستخدم المبلغ لنساعد الأزواج المحتاجين. والآن، إذا وقّعت خطيبتك في أسفل الصفحة، يمكن للقاضي أن يبدأ.

أخذت فران نفساً عميقاً، والتقطت القلم. لو قال لها أحد إنها ستتزوج من أندريه بينيت في «إليكو» «نيڤادا»، قبل انقضاء الليل، لسخرت من هذا القول.

مع ذلك، ها هي معه، تستعد للدخول في أقدس مراسم تجمع رجلاً وامرأة.

يا إلهي.. ماذا تفعل؟

www.elromancia.com

أعطت السيدة آپيلباي الأوراق لزوجها ليراجعها. وقال ينادي باسمهما ويسوي ثوب القضاة:

ـ فرانسيسكا مالوري، أندريه بينيت؟ كنت سأطلب منكما أن تمسكا بيد بعضكما، لكنني أرى أنكما تفعلان هذا.. أرجوكما أن تقتربا من المنصة.

اشتدت أصابع أندريه حول أصابع فران وجرها إلى جانبه، ثم وقف ليواجه القاضي.

ـ كلاكما راشد بما يكفي ليعرف ماذا يفعل. لكن، لا أحد يعرف كيف هو الزواج، لأن هذه المؤسسة المقدسة، أشبه بـ «مياه مجهولة» والبحّار وحده يعرف عمّا أتكلم.

ارتفعت نظرة فران إلى أندريه الذي ارتسمت على ثغره ابتسامة عارمة.. وبدلاً من أن تطمئن، ملأتها تلك الابتسامة قلقاً.

مياه مجهولة!

ماذا تعرف حقاً عن أندريه؟ ليست المسألة مسألة حب، ما من شك إنها تحبه.. وتحبه بجنون.

لكن، لا زال هناك الكثير يجب أن يعرفاه عن بعضهما قبل أن يتزوجا.

قال القاضي متجاهلاً حيرتها: «هذا يعني أنكما مستعدان لكل شيء. وهناك طريقة واحدة لتنفيذ هذا».

خلع نظارته، ودعك أنفه قبل أن يعيدها إلى مكانها. ثم مال من فوق منصته لينظر إليهما مباشرة وهو يقول: «ما عليكما فعله هو أن يضع كل منكما سعادة شريكه نصب عينيه».

وفتح يديه على سعتهما: «هذا كل شيء! عدم الأنانية هي التي تحل مشاكلكما في السرّاء والضرّاء. وحين يأتي الأولاد يأتون بالمزيد من الفرح، لكن بالمزيد من الضغط.. وإذا وعدتما أن يضع واحدكما سعادة الآخر قبل سعادته، لن تنجحا فقط في هذه الحياة مع كل ما تحبانه لكما، بل ستجدان

الفرح كذلك».

راحت فران تفكر بما هي على وشك أن تفعله.

حبها لأندريه كان كبيراً، لكن كلمات القاضي صدمتها. لن تستطيع أن تعد أمام الله، أن تقدم سعادة أندريه على سعادتها في كل مرة، فهي لا تعرف ماذا يسعده.

لقد اشترى منزلاً ليعيشا فيه.. وواضح أن لديه مال، واستثمارات تؤمن له مدخولاً جيداً. لكنها ليست مستعدة بعد أن تعيش معه.. فهي قلقة من أن يسأم منها بعد أسبوع أو في الشهر القادم، ويحن للبحر.

وإذا تركها لن تستطيع مواجهة الناس الذين سيعرفون أنها لم تستطع التمسك بزوجها وحبه، وستفضل أن تموت على أن تكرر تاريخ أمها..

أما بالنسبة للأولاد، فلا هي، ولا أندريه، تطرقا إلى الموضوع.

أضف أنه منذ زمن طويل، قررت فران ألاّ تنجب الأولاد إذا ما تزوجت... إذ سيكون من الصعب عليها وعلى طفلها أن يعيشا إذا هجرهما زوجها.

لكن، بعد ما أخبرها إياه أندريه في السيارة، بدا أنه يريد أولاداً. حتى أنه يتشوق لإنجابهم.

ما قاله القاضي وصل إلى أعماق روحها، وملأها بالخوف.

قال القاضي: «والآن كرري ورائي: أنا، فرانسيسكا مالوري أقبل بهذا الرجل، أندريه بينيت، ليكون زوجاً شرعياً لي».

حاولت فران ابتلاع ريقها.. لكن فمها كان جافاً. وبدأت تقول: «أنا.. أنا..».

لكنها لم تستطع إخراج الكلمات.. رفضت الكلمات أن تخرج.. وحاولت مجدداً.

اندست يد أندريه حول خصرها وشدها إليه، قال هامساً: «ما بالك يا حبيبتي؟ أنت شاحبة جداً.. هل أنت مريضة؟».

تمسكت بالعذر كطوق نجاة: «أجل».

غير أن هذا لم يكن عذراً، فهي فعلاً كانت تشعر بالغثيان.

ـ أنا.. لن أستطيع فعل هذا أندريه.. لقد حدث كل شيء بسرعة كبيرة، سامحني.

ونظرت إلى القاضي: «سامحني أيها القاضي».

ابتسم القاضي بلطف: «لا بأس يا آنسة مالوري. من الأفضل الانتظار إلى أن تتلفظي بقسمك من دون تردد. أنت امرأة شجاعة، وأنا معجب بشجاعتك».

والتفت إلى أندريه: «أنا واثق يا سيد بينيت أن خطيبتك لا تريدك أن تقسم قسماً مقدساً ليست مستعدة له. إذا كان بينكما أشياء عالقة، أنصحكما بأن تعودا إلى موطنكما وتفكرا بهذا معاً.. وإذا كان حبكما قوياً، فالوقت وحده سيدلكما على الطريق».

ملأت الدموع عيني فران، بينما تحرك القاضي من وراء منصته ليحتضنها بمحبة أبوية.

حين تركها، سمعت أندريه يشكر القاضي وزوجته بهدوء، ثم يمسك مرفقها ويخرج بها من الكنيسة.

أصعدها إلى السيارة، وانطلقا. صاحت باسمه متألمة: «أندريه..».

ـ لا بأس يا فرانسيسكا.

ـ لا.. ليس الأمر هكذا! لكنني خائفة يا أندريه.. أحتاج إلى مزيد من الوقت لأفكر.

ـ أفهم هذا.

علقت أنفاسها وتمتمت باحساس بالذنب: «بعد أن قلت لك إنني سأتزوجك الليلة، أعتقد أن لك كل الحق في أن تكرهني وتحتقرني».

ـ لن أكون من البشر لو أنكرت أنني لست خائب الأمل. لكن أن أحتقرك، أعتقد أنك تعرفين الرد على هذا.

لم يبدُ عليه أنه عريس رفضته عروسه على مذبح الزواج.

ـ هل.. ستغادر «بحيرة الملح» الآن؟

أدار رأسه ليحدق إليها: «هل هذا ما تريدينني أن أفعله؟».

قاومت لتسيطر على مشاعرها، لكنها كانت تخسر المعركة بسرعة..

قالت تتمتم: «أريدك أن تفعل ما تريد».

ودفنت وجهها بين يديها، وانفجرت بالبكاء.

ـ إذن، هذا بالضبط ما سأفعله.

أوصلها إلى شقتها بصمت مشحون بالتوتر. وقد أخافها آخر تعليق قاله.

قالت وهي تكافح لتنزل من السيارة: «لست مضطراً أن توصلني إلى الباب».

تجاهل قولها واستدار إلى جانبها ليساعدها على الخروج. وعندما وصلا إلى باب شقتها كانت متوترة تصرخ طلباً أن ترتاح من الألم.

لن يرغب بها أندريه بعد الآن.. ومن يستطيع أن يلومه؟

فتحت حقيبة يدها لتبحث عن المفتاح. وانتهى الأمر أن وجده هو، وفتح لها الباب.

رفعت وجهاً مشتتاً مليئاً بالدموع نحوه: «أندريه..».

ـ لا تقولي شيئاً قد تضطرين إلى التراجع عنه.

ضمّها إليه بقوة قبل أن يتركها ويسير مبتعداً.

***

www.elromancia.com

٨ ـ بحّار على شاطىء الحب

رن جرس الباب مجدداً: «فران؟ هل أنت في المنزل يا حبيبتي؟».

كانت فران تسمع صوت أمها يناديها.. رفعت رأسها عن الوسادة ونظرت مغشية العينين إلى الساعة قرب سريرها.. الحادية عشرة وعشر دقائق؟

لقد أوصلها أندريه حوالى الرابعة صباحاً. وبعد أن انهارت في نوبة بكاء، لا بد أنها أرهقت نفسها حتى النوم.

صاحت تردّ: «لحظة. أنا قادمة».

نهضت مترنحّة من فراشها وأسرعت من غرفة نومها إلى الباب الأمامي.

ـ أمي؟

حضنتها أمها بقوة: «فران.. حبيبتي، شكراً للسماء أنك هنا.. الجميع كان يحاول الاتصال بك، وكنت على وشك الدخول عنوة لأرى ما إذا كنت مريضة جداً ولا تستطيعين مغادرة السرير».

تمتمت فران مذنبة: «أنا بخير».

نظرت إليها أمها بعينين ثاقبتين: «لا تبدين كذلك.. ما الأمر يا حبيبتي؟ أين كنت؟ هوارد يحاول الاتصال بك منذ ليلة أمس».

ـ ماذا؟

ـ مريضته أحست بطلق زائف، وعادت إلى منزلها.. لذا عاد إلى الحفلة

من أجلك.

وتأوهت فران.

ـ لكن الحفلة كانت قد انتهت وقالت السيدة ريشتر، ضيفة السيد بينيت، إنها لا تعرف أين أنت. فاتصل هوارد ببارني، ظناً منه أنك معه لأنه سيوصلك إلى منزلك. وعرف أنك قبلت عرض السيد بينيت ليقلّك إلى البيت.. وانزعج هوارد كثيراً حين بدأ الاتصال بك في العاشرة من هذا الصباح، ولم تردي عليه.

أنا آسفة هوارد.. آسفة جداً.

ـ بقيت أحاول الاتصال بك، ثم قررت أن أجيء بنفسي.. حين رأيت سيارتك في المرآب، بدأت أقلق فعلاً.

تنهّدت فران متألمة: «أنا آسفة لتكديرك.. أدخلي واجلسي يا أمي».

وأقفلت فران الباب. لكن أمها بقيت واقفة.

ـ أعرف أنك في الثامنة والعشرين من عمرك، ويمكنك العناية بنفسك.. وما تفعلينه هو شأنك الخاص. لكن، حين اتصلت بالسيدة ريشتر قبل حضوري إلى هنا الآن، قالت لي إن السيد بينيت لم يأتِ إلى المنزل بعد. وكانت قلقة، لأنه في الماضي، كان يخبرها عن مكان وجوده.. وفي هذه النقطة، أخشى أننا خفنا معاً من الأسوأ، وأن حادث سيارة حصل لكما، أو شيء آخر.

أوه.. لا.

أندريه رحل..

وبدأت الدنيا تدور من حولها..

أمسكت الأم ذراعها: «حبيبتي؟ تعالي واجلسي على الأريكة.. لقد شحب لونك. دعيني أحضر لك بعض الماء».

قالت لأمها وقد عادت من المطبخ مع كأس من الماء: «شكراً أمي».

كان طعم الماء البارد جيداً، وساعدها على استعادة وعيها قليلاً.

لم تشأ فران أن تقول لأمها عمّا حدث ليلة أمس كي لا تحزنها. لكن الآن وقد جاءت إلى هنا، عليها أن تشرح لها وتقول الحقيقة.

بدأت بصوت متهدج: «أمي! ليلة أمس بعد الحفلة، طلب مني أندريه أن أتزوجه. وقلت له.. نعم، لذا سافرنا إلى «إيلكو»».

صاحت الأم بفرح: «حبيبتي!».

وحاولت الوقوف لتحضنها.

حين رأت فران إثارة أمها قالت: «دعيني أكمل يا أمي».

وشبكت يديها معاً.

ـ كنا في منتصف الإكليل، حين.. حين لم أستطع أن أكمل. ويجب أن أقول إنها كانت أكثر تجربة مرعبة في حياتي كلها.

أكملت: «أرجعني أندريه باكراً هذا الصباح.. وكنت مذعورة جداً مما فعلته به، وبكيت طوال طريق العودة. والأرجح أنني لن أراه مرة أخرى. وما قالته السيدة ريشتر يؤكد هذا».

صمتت قليلاً تبتلع ريقها: «بعد أن آويت إلى الفراش، بكيت لساعات. حين نمت أخيراً، لم أسمع شيئاً.. وأنا.. أنا آسفة لأنك اضطررت للمجيء لتجديني هكذا».

غادر الفرح وجه أمها، ما جعلها تبدو أكبر سناً. وهمست: «وأنا آسفة أيضاً».

كانت والدة فران شخصية دائمة التفاؤل وأحزن فران أن تسمع الأسى في صوت أمها.

هزت رأسها بارتباك متألم: «لماذا أنت آسفة أمي؟ لقد ظننت أنك كنت تأملين أن أتفق يوماً مع هوارد».

ـ أنت مخطئة يا حبيبتي.. لقد تخليت عن هذا الحلم منذ زمن بعيد. ولأكون صادقة، لم أكن أتوقع أن تتزوجي أبداً. لكن، الآن، حين أخبرتني أنك هربت إلى «إيلكو»، سعدت كثيراً حتى أردت أن أزف الخبر للعالم

بأسره.. فكرت أن ابنتي أخيراً التقت بالرجل الذي استطاع أن يتخطى تلك الحواجز التي أقامتها منذ سنوات.. لكن واضح أنني كنت مخطئة.. أنت خائفة من الخيانة، وعاجزة عن الوثوق بالغريزة التي أعطاك إياها الله.

انهمرت الدموع على خدي فران: «أنت وثقت بغريزتك.. وانظري ماذا جرى لك».

هزت الأم رأسها بعجز: «حبيبتي.. لا يمكنك تأسيس كل حياتك على ما حدث لي!».

ـ لكن، كيف تحملت حين عرفت أن أبي لم يكن مخلصاً لك؟

ـ تألمت. لكن هذا لم يفسد لي حياتي، ولو وجدت الرجل الذي أستطيع حقاً أن أحبه، لخاطرت مرة أخرى.

لم تصدق فران ما كانت تسمع.

ـ هل كنت ستتزوجين مرة أخرى.. حقاً؟

ـ طبعاً. في الواقع كنت آمل أن يحدث هذا. وتمنيت لو حدث وأنت صغيرة لتري بنفسك ما هو الزواج الجيد. الطفلة المهجورة هي التي لم تستطع إكمال الإكليل ليلة أمس لا المرأة الراشدة.. ولا شك أن أندريه بينيت لديه كل مؤهلات الزوج الصالح الذي تبحثين عنه، وإلا لما ذهبت إلى «إيلكو» معه.. أنت فعلاً تحبينه.

همست فران: «أكثر من نفسي... لهذا عرفت أنني لن أستطيع أن أتحمل لو تخلى عني يا أمي».

نهضت الأم ونظرت بإشفاق إلى فران: «من الخطأ أن تعيشي حياتك تنكرين على نفسك السعادة مع رجل رائع كي تتجنبي شيئاً بعيد الاحتمال وقد لا يحدث.. أتمنى لو أستطيع مساعدتك يا فران.. أنا أحبك كثيراً».

ـ وأنا أحبك كذلك.

ـ في هذه الحالة، سأقول لدان وماي إنك مريضة جداً ولن تتمكني من المجيء إلى العشاء.. يجب أن نكون هناك بعد بضع دقائق.

انهمرت دموع ساخنة على وجنتيها: «شكراً.. لن أستطيع مواجهة أحد في الوقت الحاضر».

احتضنت السيدة مالوري ابنتها طويلاً.

ـ قبل أن تفعلي أي شيء آخر، اتصلي بهوارد وبارني وطمئنيهما.

مسحت فران دموعها: «سأفعل».

ولحقت بأمها إلى الباب.. وتعانقتا مرة أخرى قبل أن تتودعا.

وقفت فران مخدرة من الألم، إلى أن سمعت رنين جرس الهاتف.. وتسارع قلبها فجأة بقوة.. أندريه؟

دخلت المطبخ بسرعة لترد. وما إن سمعت صوت هوارد، حتى غاص قلبها.

وكرر اسمها: «فران؟».

ابتلعت بقوة: «أجل هوارد، أنا مسرورة جداً لأنك اتصلت. كنت على وشك الاتصال بك. جاءت أمي إلى منزلي هذا الصباح، وأخرجتني من الفراش».

لقد بدأت الأكاذيب.

ـ لم أكن أعلم أنك كنت تحاول الاتصال بي. فهمت أنك عدت إلى الحفلة ليلة أمس لكن أندريه كان قد أوصلني إلى البيت.. وأنا آسفة لأن كل شيء سار بطريقة خاطئة.

زاد صمته المطوّل من ألمها، ثم جاء الرد غير المتوقع: «أنا لست آسفاً. فعلاقتك مع بينيت عميقة. ليلة أمس، أدركت أنني لن أستطيع منافسته. ولهذا كنت أحاول الاتصال بك، لأتمنى لك حظاً سعيداً، وأعني هذا صادقاً. لكن هلاّ أسديتني معروفاً؟».

وكانت الدموع تنهمر على خديها: «بالطبع».

ـ لا تبتعدي عن الكنيسة بسببي. بما أنك لم تعطني الفرصة لأعاني من تحطم قلبي، فإن كرامتي سوف تشفى قريباً.. وفي يوم ما، آمل أن أجد

امرأة تحبني بقدر ما تحبين أنت بينيت.

حين استطاعت أن تجد صوتها، قالت: «سيحصل هذا، لأنك رجل رائع، ومن أفضل الرجال».

وتحول صوتها إلى همس معذب.

ـ وداعاً يا فران.

وسرعان ما قررت، أن تتصل ببارني قبل أن تنهار بالكامل.

لحسن حظها، ردت عليها عاملة الهاتف.. لن تستطيع تحمل الكلام معه الآن. وبعد أن تركت له رسالة تقول فيها الأكاذيب ذاتها التي قالتها لهوارد، قالت إنها ستراه في المكتب صباح الغد. ثم أقفلت الخط، وعادت إلى الفراش تتساءل عما إذا كان هناك سبب يدعوها إلى مغادرته مرة أخرى.

***

رن جرس الهاتف بينما كان أندريه يدخل من الباب الخلفي لمنزله.. أخذ السماعة وقال بلهفة:

ـ فرانسيسكا؟

ـ لا.

وساد تردد خفيف: «أنا ناتالي.. آسفة».

واعتذرت بهدوء.

أمّا هو فخاب أمله. كم هو غبي ليعتقد أن فرانسيسكا ستتصل به. لكنه يتألم، فهذا اليوم، كان من المفترض أن يكون أول يوم في شهر عسلهما.

ـ أجل ناتالي؟ كيف أخدمك؟

لا بد أن يكون العمل عذرها الوحيد للاتصال لأنه حين ودّعها ليلة أمس، قال لها إنه يحب فرانسيسكا.

ـ اعذرني للتطفل، خاصة بعد الحفلة الرائعة التي أقمتها ليلة أمس. لكنك قلت لي أن أتصل بك لو وجدت منزلاً للبيع قد يعجب جيردا، وأعتقد أنني وجدته.

www.elromancia.com

تنهّد بقوة: «لقد وصلت إلى هنا لتوي.. وسيارتهم ليست هنا.. أعتقد أنهم في الكنيسة. ولا أتوقع عودتهم قبل الساعة الرابعة».

ـ هذا مؤسف جداً. فالمنزل قد يباع الليلة. فموقعه مرغوب جداً إذ إنه قريب من الجامعة ويطل على مناظر جميلة.

صمتت قليلاً: «والمذهل أنه يتناسب وإمكانات جيردا.. ولا يبعد كثيراً عن منزلك. لقد حافظ عليه المالك جيداً، لكن بسبب مشاكل مالية، اضطر إلى الانتقال قبل عيد الميلاد.. هل ترغب في لقائي هناك؟».

لو كان هذا الأمر يهم شخصاً غير جيردا، لقال لناتالي أن تتصل فيما بعد.. لكنه كان يعرف أن جيردا وعائلتها متلهفون للاستقرار في مكان خاص بهم. وربما تكون ناتالي على حق، ويكون هذا هو المنزل المناسب لهم.

بعد أن أمضى معظم يومه في الدير، خرج بخطة لإقناع فرانسيسكا. وكلما أسرع في إيجاد منزل آخر لضيوفه، استطاع أن ينفذ بعض الأفكار.. وهو لا ينوي أن ينتظر طويلاً قبل أن يتزوجها وينشىء معها عائلة. الواقع أنه يتشوق لكل ما حُرم منه.

حين وصل القاضي إلى الجزء الذي تكرر فيه فرانسيسكا القسم وراءه، عرف أندريه أن الزواج هو ما يتلهّف من أجله، ولن يستسلم الآن.

قال: «ما هو العنوان؟».

ـ إنه ٨٢٣... الجادة رقم ١١.

ـ سأكون هناك بعد عشر دقائق. شكراً ناتالي.

بعد أن ترك رسالة لجيردا قرب الهاتف يشرح فيها أنه ذهب بحثاً عن منزل لهم، ارتدى بنطلوناً كاكي اللون وقميصاً مناسباً ثم أسرع إلى سيارته. ولم يكن يخطط للغياب أكثر من ثلاثة أرباع الساعة كحد أقصى.

إلاّ أن المكان كان مليئاً بالمشترين، والجولة فيه أخذت وقتاً أكثر مما توقع. لكنه منزل يحتوي على كل ما تريده جيردا، وأكثر.

وخشية أن تكون ناتالي محقة، ويضيع المنزل من يدهم لو لم يتصرف بسرعة، كتب أندريه شيكاً بالعربون.. ولزم ناتالي قليلاً من الوقت لإنهاء عملها مع سمسار آخر. وإلى أن عادا إلى سيارتيهما، كانت الساعة الرابعة وعشر دقائق.

قال: «يجب أن تكون جيردا قد عادت الآن، لِمَ لا تأتين معي إلى المنزل، من ثم تلحق بك مع هاريف إلى هنا لترى المنزل».

ـ هذه فكرة جيدة. فتلك الأوراق بحاجة إلى توقيعها.

ـ دعينا نذهب.

كان متلهفاً للعودة إلى المنزل في حال انهارت فرانسيسكا واتصلت به. وقاد سيارته بسرعة أكثر من المعتاد، ولراحته، رأى سيارة هاريف متوقفة أمام المنزل.

ترك سيارته في الطريق الداخلية إلى جانب المنزل، وأشار لناتالي أن تبقى في سيارتها، وقبل أن يضع مفتاحه في القفل، انفتح الباب.

صاحت جيردا بابتهاج: «أندريه! أنا مسرورة لأنك عدت سالماً».

قطّب: «ولِمَ لا؟ لقد تركت لك رسالة».

ـ أعني قبل أن تترك الرسالة.

وللدقائق التي تلت شرحت له جيردا أمر المكالمات المذعورة من الجميع بمن فيهم والدة فرانسيسكا.

ـ لم يستطع أحد أن يجد أياً منكما.. عندئذٍ بدأت أقلق من أن يكون قد حصل لكما مكروه.

ـ بعد ما قلته لي، يجب أن أذهب إلى شقة فرانسيسكا. سأشرح لك كل شيء فيما بعد يا جيردا.. أما الآن فناتالي كارتنز تنتظرك. لقد وجدت لك منزلاً رائعاً وضمن إمكاناتك. طلبت مني رؤيته، وأظن أنه بالضبط ما تبحثين عنه. وخشينا أن يباع قبل نهاية اليوم، فدفعت عربوناً، في حال أعجبك.

بدت الصدمة على جيردا: «استخدمت مالك الخاص؟».

ـ كان يمكن أن تفعلي الشيء ذاته لي.. لا؟

تبللت عينا المرأة المسنة الزرقاوان. وأكمل: «بعد كل ما كنا نبحث عنه منذ أسابيع، إنه جوهرة يا جيردا. وأعتقد أنكم جميعاً ستكونون سعداء هناك، ولا يبعد أكثر من دقائق عن منزلي».

صاحت جيردا بامتنان: «شكراً أندريه! اليوم في الكنيسة دعوت الله أن نجد منزلاً في وقت قريب. أنت حقاً كنزي الثمين».

ـ الشعور متبادل يا جيردا.. والآن يجب أن أذهب.

بعد بضع مهمات صغيرة، أسرع إلى منزل فرانسيسكا.. كل ما كان بحاجة إليه هو عامل المفاجأة... وفي يوم ما سوف تستسلم.

كانت الساعة تقارب السادسة مساء حين سمعت فران جرس الباب. وتوقعت أن يكون الزائر عمها دونالد.. فعلى الرغم من أنه طبيب أسنان، فقد كان يعتني بكل حاجات العائلة الطبية.

لا بدّ أن تكون أمها قد أرسلته إليها. كانت فران تحبه لأنه طيب جداً معها. لكنها الآن لم تكن في حالة تسمح لها بصحبة أحد.. فقد سبق وابتلعت قرصي مسكّن لكن صداعها لا يزال يؤلمها كثيراً.

وكيف لا وقد أمضت ثماني ساعات من النحيب المتواصل! سيلاحظ عينيها المنتفختين المحمرتين وشحوبها غير الطبيعي.. وعلى الفور سيعرف أن مشكلتها ليست طبية.

سارت إلى الباب والمنشفة ملفوفة على شعرها الرطب: «من هناك؟».

ـ أندريه.

وخفق قلبها. إنه لم يغادر المدينة بعد.. فهل جاء ليودعها؟

تأوهت، فهي لا تريده أن يراها هكذا. لكنها لا تجرؤ على إبعاده، هناك أمور كثيرة تريد أن تقولها له. وقبل أي شيء، يجب أن تطلب منه الصفح.

ـ لحظة يا أندريه.

ـ لا تتأخري، وإلا سيبرد الطعام.

طعام؟

فتحت الباب من دون تردد.. ووقف هناك وفي يده كيس كبير. وارتفعت عيناها إلى القميص الأزرق الذي يغطي صدره البارز، وإلى قسمات وجهه الرجولي الآسر.. حين وصلت إلى عينيه، تشابكت عيونهما.

لم تره من قبل أكثر جاذبية ووسامة. ولو لم تكن تراجعت عن قرانهما في اللحظة الأخيرة، لكانا الآن متزوجين، ويتمتعان بشهر العسل.

دعته إلى الدخول.

ـ امنحني دقيقة، وسأكون معك.

ـ خذي كل الوقت الذي تحتاجين إليه.. لست ذاهباً إلى أي مكان.

ليت هذا كان صحيحاً.

ما من شك أن والدها قال هذا لأمها في بداية حياتهما الزوجية.. فالجميع يقول هذا.. لكن الجميع لا يعنيه.

أخذت يداها ترتجفان وهي تسرّح شعرها، وتضع أحمر الشفاه... ربما لن يجفل الآن حين يراها.

عندما عادت إلى غرفة الجلوس، كان قد أدار جهاز التلفزيون وراح يتفرج على مباراة في كرة القدم. وكان قد جاء بطعام صيني جاهز لذيذ المظهر والرائحة. هذا الصباح ظنت أنها لن تأكل ثانية، لكن بعد اثنتي عشرة ساعة، وجدت نفسها جائعة.

توقفي عن الكذب على نفسك فران.. إن وجود أندريه غير المتوقع هو الذي أعاد إليك الحياة. فاستمتعي بكل لحظة، فهي قد لا تعود أبداً.

حين دخلت الغرفة، طافت عيناه السوداوان عليها من الرأس إلى أخمص القدمين. وتسبب لها هذا بارتجاف في معدتها.. كان له طريقة خاصة تشعرها بأنها جميلة حتى في أسوأ حالاتها.

ـ تعجبني طريقة تصفيف شعرك.. جسمك جميل يا فرانسيسكا.

وعرفت أنه صادق، وغرق جسمها بالحرارة.

ـ شكراً لك. لكنني لا أحمل شرف ذلك لوحدي.. فلأمي الكثير من الفضل.

رفع نفسه عن مقعده: «أنا أتشوق لمقابلتها.. تعالي واجلسي. أحضرت لك طبق طعام. وبما أنني لا أعرف ذوقك في الطعام الصيني بعد، اشتريت قليلاً من كل شيء».

وأعطاها طبق الطعام وزجاجة مرطبات.

أخذتهما منه: «شكراً لك».

لكنها لم تستطع أن تأكل. كان يتكلم وكأنهما زوجان والمستقبل أمامهما.. كيف يمكن أن يتصرف هكذا بعدما فعلته به؟

ـ أندريه.. بخصوص ليلة أمس..

قاطعها قائلاً: «ليلة أمس كانت غلطتي.. وأتحمل المسؤولية كلها لإجبارك على شيء لست مستعدة له».

تسارعت نبضات قلبها: «ظننت أنني مستعدة للزواج بك، وأنا آسفة جداً لأنني جرحتك».

غمرتها نظرته السوداء: «فرانسيسكا.. لا ضرورة للاعتذار. كنت متلهفاً للزواج بك... كنت أريدك بشدة. ولم أستمع إليك ونحن في مكتبتي حين قلت إنك لن تستطيعي أخذ قرار بالزواج في ظرف دقائق. نحن نحتاج حقاً إلى وقت لنعرف بعضنا جيداً قبل أن نتزوج».

هزت رأسها ووقفت: «أنت لا تفهم يا أندريه.. لن يكون للوقت أي فارق».

قضاء المزيد من الوقت معك سوف يجعلني أقع في حبك أعمق وأعمق. ولا أتحمل أن يحدث هذا!

قال: «هذا خوفك الذي يتكلم. سوف نأخذ الأمور يوماً بيوم.. في الوقت الحاضر هذا كل ما أستطيع فعله».

وبدت كلماته متثاقلة قليلاً.

ـ أندريه؟ هل أنت بخير؟

وأطبقت عيناه: «لم أنم منذ ليلة ما قبل الأمس. فهل تمانعين لو جلست هنا على الأريكة لدقائق قبل أن أخرج؟».

وقبل أن تفهم فران، كان يغط في النوم. وعرفت هذا من أنفاسه العميقة الشاخرة قليلاً.

ولم يفاجئها هذا حقاً. فهو لم يقم حفلة ضخمة فحسب، بل قاد السيارة ليلة أمس، ناهيك عن المحنة العاطفية التي مرا بها معاً. لذا ليس من العجب أن ينهار في غرفة جلوسها.

وأشفقت عليه فأحضرت ملاءة وغطته بها.

جلست على ركبتيها لتنظر إليه، وبدا لها أكثر ضعفاً وهو نائم.

تجولت نظراتها فوق جسمه القوي المليء بالحيوية. لا بدّ أنه قام بالكثير من العمل الشاق في حياته ليصبح في هذا الشكل المذهل. وعلى الرغم من أن أندريه كان يشعر أن حياته مختلفة جداً عن حياة والده، إلا أن فران كانت ترى بينهما تشابهاً كبيراً.

حين تفكر بالأماكن العديدة التي زارها، تتشوق لسماع أخبار مغامراته. كانت تريد أن تعرف كل شيء عن أدنى تفصيل في حياته قبل أن يلتقيا.

إنه مختلف جداً عن الرجال الآخرين الذين تعرفهم. رجال مثل هوارد، أنعم الله عليهم بمن يرشدهم. مع ذلك، كبر أندريه ليصبح رجلاً رائعاً يتمتع بالذكاء والذوق.

ولخالته كل الأثر في هذا فلطف أندريه تجاه جيردا، وأخلاقه التي لا عيب فيها، تتكلم عن تعليم لا يقدر بثمن، لا بد تعلمه وهو على ركبتي خالته.

لكنه لو لم يصل في الوقت المناسب إلى فراش مرضها، لما عرف أبداً أن

www.elromancia.com

والده حي ويعيش في «بحيرة الملح» ولما كان الآن مستلقياً هنا على الأريكة، حيث تستطيع فران أن تغذي عينيها به حسب ما يشتهيه قلبها.

ذلك اللقاء المقدّر مع أندريه غيّر لها حياتها كلها.. إنه حياتها كلها.. لكن لو تزوجته ثم تركها، فسيدمرها هذا.

وكأنما فجأة اقتربت من نار هادرة.. أجبرت نفسها على النهوض والتراجع عنه. وراحت تنظف بقايا الطعام.

ثم أطفأت الأنوار وذهبت إلى الفراش. ولم يكن لديها فكرة متى سيستفيق أندريه، وعلى الأرجح، ليس قبل أن ترتدي ثيابها وتذهب إلى العمل في الصباح.

لكنها كانت مخطئة. فحين خرجت من غرفة نومها عند السابعة صباحاً بعد أن نامت جيداً، رأت الملاءة على الطاولة مع الوسادة.. واضح أن أندريه استيقظ في الليل، وتسلل خارج الشقة قبل أن يرن جرس المنبه.

كانت تكره ذلك الإحساس بالفراغ الذي كان يتملكها دائماً حين تعرف أنه غادرها. وفي جهد لمعارضة هذا الإحساس، دخلت المطبخ لتحضر الفطور وتصب كوباً من عصير البرتقال. وتمنت أن يكون هذا اليوم يوم حافلاً بالعمل كي لا يعذبها تفكيرها به.

بعد ثلاثة أرباع الساعة، دخلت المكتب... وتسمرت عيناها على باقة ورد أحمر، تخطف الأنفاس كانت تحتل المنضدة.

قال باول: «ثلاث دزينات منها. لقد عددتها».

كانت الورود الأكثر جمالاً، وتسارعت نبضات قلبها.

ـ هاي.. لا تقفي هكذا مثل «زوجتي».. إقرأي البطاقة.

ـ هل.. هل رأيت من جاء بها؟

ـ أوصلها ساعي البريد.

ـ لكن الوقت مبكر.

ضحك: «ليس هذه المرة. هيا! فراني، لا تبقيني متوتراً. أم تريدينني

أن أفتح البطاقة عنك؟».

عضت شفتها، ونظرت بعيداً: «أعتقد أنني أعرف من أرسلها».

ـ الجميع هنا يراهن على الراهب.

ـ هذا ليس أمراً مضحكاً باول.. قبل كل شيء، هو ليس راهباً.

ـ هاي.. كنت أمزح. لا بد أنك مجنونة بحب هذا الرجل، لتكوني حساسة جداً هذا الصباح.

لقد كدت أتزوجه ليلة أمس.. إلى هذا الحد أنا مجنونة به.

رأت أن اسم فرانسيسكا مكتوب على المغلف من الخارج. لا أحد يناديها باسمها الكامل ما عدا أندريه.

حين التقطت المغلف، أدركت أنه يحتوي على شيء آخر إلى جانب البطاقة. وبقلب خافق، فتحت المغلف ثم شهقت حين وقع الخاتم الذهبي على الطاولة.

وراح باول يصفّر.

ـ سيداتي سادتي.. انظروا إلى هذا.

التقطت الخاتم وأطبقت كفها عليه.. بماذا يفكر أندريه؟

أخرجت البطاقة بيدين مرتجفتين وقرأتها:

«حبيبتي.

سامحيني لأنني غفوت ليلة أمس عندك.. هل أنا مخطىء، أم أن ملاكاً كان يراقبني وأنا نائم؟

ضعي هذا الخاتم في سلسلة حول عنقك إلى أن تصبحي مستعدة للسماح لي بوضعه في إصبعك..

أحبك يا فرانسيسكا

أندريه».

دس باول علبة مناديل ورقية تحت أنفها: «هيا.. استخدمي منها ما شئت. لكن أخبريني شيئاً واحداً.. هل أستطيع أن أعلن أنك مخطوبة

www.elromancia.com

رسمياً الآن؟».

صاحت بألم: «لا يا باول! أنت لا تفهم. أرجوك لا تقل كلمة عن هذا لأي مخلوق».

تجهم وجهه: «حسن جداً.. لن أفتح فمي».

- شكراً لك.

- لكنك تحبين الرجل.. وأعرف هذا.

همست من قلبها: «أنا لا أنكر».

وبدا أن الخاتم يكاد يحرق بشرتها.

- فراني.. عليك أن تعرفي أن كثيراً من الرجال مخلصون في زواجهم!

- أعرف.. وأنت واحد منهم.

- يبدو لي أن البحّار سمع نداء إغوائك. وها قد حط على شاطئك، فهل سيكون هذا مصيره المشؤوم..

- أوه.. باول.

هزت رأسها ساخطة يائسة. وتدفقت الدموع من عينيها.

- أوه.. أوه لا.. ها قد جاء بارني.

أخذت منديلاً ورقياً آخر ومسحت عينيها.

- حسن جداً.. ماذا لدينا هنا؟.

استدارت ببطء لتواجه رئيسها، وقالت دون النظر إليه: «ورود من صديق».

- شخص أعرفه؟

- إنها من أندريه.

- كنت سأقول هذا. لقد أصبت. ومن المؤسف أنني سأضطر إلى إرسالك في مهمة إلى واشنطن اليوم، لكننا سنستمتع بهديته في غيابك.

- أي مهمة؟

ونسيت ألاّ تنظر في عينيه.

- هل تذكرين العدد الذي سننشره في الربيع عن جالية أوتاه في الخارج؟

- أجل، بالطبع.

وكانت تكذب. فقد نسيتها.. فدخول أندريه إلى حياتها قلب كل شيء رأساً على عقب.

- لقد تلقيت للتو إذناً لك لمقابلة أعضاء الكونغرس المنتمين إلى أوتاه، ويريدونك أن تذهبي هذا الأسبوع. إنها فرصتنا الآن.

أسبوع بعيداً عن بلدتها.. هل سيكون أندريه هنا حين تعود؟

- لن تكون هذه مقابلة سياسية. نريد إعطاء القراء نظرة مقربة إلى الرسميين الذين انتخبوهم.

صمت قليلاً، ثم أكمل: «بما أن هذا تبليغ متأخر، يمكنك الذهاب إلى البيت الآن لتستعدي. مرّي بمكتب إيملي وأنت خارجة. ستعطيك بطاقة السفر وحجز الفندق.. طائرتك ستغادر عند الساعة الحادية عشرة».

بهذه السرعة؟

ابتسم بارني: «هاي.. كنت أمزح بخصوص بقاء الورود هنا».

قال باول: «سأساعدها في حملها. تعالي فراني.. يجب أن تسرعي».

وضعت الخاتم في حقيبة يدها، ثم لحقت باول إلى مكتب ايملي لتأخذ بطاقة السفر.

إنها المرة الأولى التي لا ترغب فيها بالذهاب في مهمة. لا تريد الذهاب إلى أي مكان.. لكن العمل هو العمل.

عندما وصلت البيت وضعت الورود في إناء على طاولة القهوة. وكانت تخطف الأنفاس بجمالها بحيث لم تستطع إبعاد عينيها عنها.

اتصلت بوالدتها تخبرها بخططها، فكرت بما ستفعله بخصوص أندريه. لن تستطيع مغادرة «بحيرة الملح» دون شكره على هديته. وبما أنها لم تكن تنوي استبقاء الخاتم، قررت أن تمر بمنزله وتعطيه إيّاه شخصياً. بهذه الطريقة، تستطيع شكره على الورود.

www.elromancia.com

رسمياً الآن؟».

صاحت بألم: «لا يا باول! أنت لا تفهم. أرجوك لا تقل كلمة عن هذا لأي مخلوق».

تجهم وجهه: «حسن جداً.. لن أفتح فمي».

- شكراً لك.

- لكنك تحبين الرجل.. وأعرف هذا.

همست من قلبها: «أنا لا أنكر».

وبدا أن الخاتم يكاد يحرق بشرتها.

- فراني.. عليك أن تعرفي أن كثيراً من الرجال مخلصون في زواجهم!

- أعرف.. وأنت واحد منهم.

- يبدو لي أن البحّار سمع نداء إغوائك. وها قد حط على شاطئك، فهل سيكون هذا مصيره المشؤوم..

- أوه.. باول.

هزت رأسها ساخطة يائسة. وتدفقت الدموع من عينيها.

- أوه.. أوه لا.. ها قد جاء بارني.

أخذت منديلاً ورقياً آخر ومسحت عينيها.

- حسن جداً.. ماذا لدينا هنا؟.

استدارت ببطء لتواجه رئيسها، وقالت دون النظر إليه: «ورود من صديق».

- شخص أعرفه؟

- إنها من أندريه.

- كنت سأقول هذا. لقد أصبت. ومن المؤسف أنني سأضطر إلى إرسالك في مهمة إلى واشنطن اليوم، لكننا سنستمتع بهديته في غيابك.

- أي مهمة؟

ونسيت ألاّ تنظر في عينيه.

- هل تذكرين العدد الذي ستنشره في الربيع عن جالية أوتاه في الخارج؟

- أجل، بالطبع.

وكانت تكذب. فقد نسيتها.. فدخول أندريه إلى حياتها قلب كل شيء رأساً على عقب.

- لقد تلقيت للتو إذناً لك لمقابلة أعضاء الكونغرس المنتمين إلى أوتاه، ويريدونك أن تذهبي هذا الأسبوع. إنها فرصتنا الآن.

أسبوع بعيداً عن بلدتها.. هل سيكون أندريه هنا حين تعود؟

- لن تكون هذه مقابلة سياسية. نريد إعطاء القراء نظرة مقربة إلى الرسميين الذين انتخبوهم.

صمت قليلاً، ثم أكمل: «بما أن هذا تبليغ متأخر، يمكنك الذهاب إلى البيت الآن لتستعدي. مرّي بمكتب إيملي وأنت خارجة. ستعطيك بطاقة السفر وحجز الفندق.. طائرتك ستغادر عند الساعة الحادية عشرة».

بهذه السرعة؟

ابتسم بارني: «هاي.. كنت أمزح بخصوص بقاء الورود هنا».

قال باول: «سأساعدها في حملها. تعالي فراني.. يجب أن تسرعي».

وضعت الخاتم في حقيبة يدها، ثم لحقت باول إلى مكتب ايملي لتأخذ بطاقة السفر.

إنها المرة الأولى التي لا ترغب فيها بالذهاب في مهمة. لا تريد الذهاب إلى أي مكان.. لكن العمل هو العمل.

عندما وصلت البيت وضعت الورود في إناء على طاولة القهوة. وكانت تخطف الأنفاس بجمالها بحيث لم تستطع إبعاد عينيها عنها.

اتصلت بوالدتها تخبرها بخططها، فكرت بما ستفعله بخصوص أندريه. لن تستطيع مغادرة «بحيرة الملح» دون شكره على هديته. وبما أنها لم تكن تنوي استبقاء الخاتم، قررت أن تمر بمنزله وتعطيه إيّاه شخصياً. بهذه الطريقة، تستطيع شكره على الورود.

www.elromancia.com

حين فتح لها الباب، كان عليها أن تقاوم نفسها كي لا تحدق به كما فعلت وهو نائم ليلة أمس.

تمتم بصوت أجش: «صباح الخير».

وجالت عيناه على وجهها الجميل.

- أملت أن أراك في وقت لاحق من النهار لكن أن أجدك على عتبة داري في هذا الوقت المبكر، هو سعادة لم أتوقعها.. أدخلي.

- أنا.. لا أستطيع أندريه.. أنا في طريقي إلى المطار.

- وهل أرسلت في مهمة؟

- أجل.. إلى واشنطن. جئت إلى هنا لدقائق لأشكرك على الورود..

- لِمَ لا نتكلم عن هذا وأنا أوصلك إلى المطار في سيارتي.. سأستبقي سيارتك في المرآب حيث ستكون آمنة إلى أن تعودي.

احتجت بآهة صغيرة: «بقدر ما أنا ممتنة لعرضك، لا أريد أن أزعجك يا أندريه. لقد فعلت لي أكثر مما يجب».

ذكرها بحدة: «إذا كنت تذكرين.. لقد قلت لي حين عدنا من «إيلكو» إنك تريدينني أن أفعل ما أريد. فهل أسأت فهمك؟».

أشاحت بعينيها عن نظرته الثاقبة: «لا. لكنني لم أكن أعني أن تعتني بي هكذا».

- يروقني هذا، أدخلي لدقيقة بينما أحضر المفاتيح من غرفة النوم، ثم نذهب.

خطت إلى الداخل، ووجدت نفسها مسمّرة وقد أرهبها سحر المنزل..

وضع ذراعه حول كتفيها وشدها إلى قربه: «دعينا ندخل غرفة الجلوس».

وهما يسيران، كان جسمها يلامس جسمه بشكل حميم.. وخشيت أن يشعر بارتجاف جسمها.

- أوه..

أطلقت فران صيحة خشنة حين رأت ناتالي كارتنز تسير نحوهما.. لم يكن لديها فكرة أنها هنا.

- مرحباً سيدة كارتنز.

ردت المرأة الأخرى بمرح: «صباح الخير».

قالت فران: «اسمع أندريه، واضح أنك مشغول لذا...».

قال بلهجة ناعمة، وهو لا يزال يمسك بها: «أبداً.. لقد جاءت ناتالي إلى هنا لرؤية جيردا. هل قلت لك يا حبيبتي إن أسرة ريشتر وجدت منزلاً وسينتقلون إليه قبل عيد الميلاد؟

- لا.. لم أكن أعرف هذا.

وهذا يعني أن أندريه سيكون لوحده مرة أخرى. وغاص قلبها.. كم سيبقى هنا بعد استقرار جيردا وعائلتها في مكان آخر؟

تمتمت، لأن شيئاً كان يجب أن يقال: «هذا رائع».

قالت ناتالي: «ها هي جيردا وهي تنزل السلم الآن.. تسرّني رؤيتكما مجدداً».

***

٩ ـ معنى الحياة

خرجت ناتالي برفقة جيردا، عندئذٍ قال أندريه:

ـ لست أدري عنك شيئاً.. لكنني بحاجة إلى «هذا» قبل أن أتحرك.

وشد فرانسيسكا إلى ذراعيه يحتاج إلى عناقها كما يحتاج إلى التنفس.

تمتمت تحاول أن تتجنبه: «لا يا أندريه!».

وأخذت تدفعه عنها.

ـ ليس لدينا الوقت.. ثم لا أستطيع التفكير جيداً وأنت تعانقني. وهناك شيء يجب أن أكلمك فيه.

تابع يضمها إليه.. وهمس مداعباً: «لا أريدك أن تفكري، فستقعين هكذا بالمشاكل».

أخفت وجهها عنه، وقالت بصوت مرتجف: «أرجوك يا أندريه، هذا أمر جدي، ويتعلق بخاتمك. لا أستطيع القبول به».

أبعد يديه عنها بتردد كبير، وما إن تركها، حتى مدت يدها إلى حقيبة يدها وأخرجت الخاتم الذهبي وأعطته إياه.

توسلت عيناها له أن يفهم: «لا أستطيع الزواج بك يا أندريه. وبما أن هذا إرث ثمين، فلن أجرؤ على الاحتفاظ به بين ممتلكاتي».

تراجعت بعيداً عنه، وتمسكت بأحد المقاعد، وأدرك أندريه أنها بحاجة إلى معاملة خاصة، وهو لم يخطط أن تسوء الأمور بمثل هذه السرعة.

ـ أنا آسفة لأنني تصرفت كما تصرفت أمام ناتالي كارتنز.. فكرت..

أنهى لها جملتها: «أعرف تماماً ما فكّرت به إزاء وجودها هنا. لو كنت أشعر بهذه الطريقة نحوها، لما لاحقتك. لكنني أحبك، ولقد قلت لها، ولكل من في المنزل، إنك خطيبتي. وتدرك جيردا وعائلتها أن لك كل الحق أن تدخلي وتخرجي من هنا كما لو أنه منزلك تماماً. وفي يوم ما سيصبح كذلك».

أخيراً قابلت نظرته، وعكست عيناها الخضراوان المجفلتان ارتباكها: «لكنني لست خطيبتك».

ـ بالنسبة لي، أنت خطيبتي.. هل اتصلت بالدكتور باركر؟

وأربكها السؤال: «أجل».

ـ ولو أنني لا أتصور هذا، هل أساء التصرف معك؟

هزت رأسها الأشقر الحريري الشعر: «لا.. قال هوارد إنه يدرك أنني أحبك. حتى أنه..».

ـ ماذا؟

ـ طلب مني ألا أبتعد عن الكنيسة بسببه.

ـ كما قلت لك سابقاً.. إنه رجل طيب.

ـ إنه كذلك.

ـ لكنه ليس لك، والحمد لله. تعالي حبيبتي، علينا أن نضع أغراضك في سيارتي لنصل في الوقت المحدد.

حين أصبحا في سيارته، سألها: «ماذا حدث حين أخبرت أمك؟ هل تعرف أننا كدنا نتزوج؟».

احتضنت فرانسيسكا زاوية المقعد: «أجل».

وابتهج أندريه لهذا الرد: «أفهم من ردة فعلك أنها لم تتمكن من مساعدتي على محاولة الهرب مع ابنتها.. ما من شك أنها لم تكن تريد أي شيء له صلة بي».

قالت بصوت يرتجف: «هذا غير صحيح. وتحب أن تلتقي بك.. أما

www.elromancia.com

عن عدم زواجنا.. فقد.. خاب أملها».

- فرانسيسكا.. إذا كان الحال هكذا، فلنخطط لزواج آخر، وسنبقي الأمر سراً إلى أن تصبحي مستعدة لإعلام الجميع.

- لا أندريه.. فأمي لن تعتبرنا متزوجين لو قمنا بذلك.

- ماذا تعنين؟

- أعرف وجهة نظرها.. ستقول إن زواجاً في الظلام ليس بزواج.

رد أندريه: «أمك على حق، من المفترض أن تشهر العروس سعادتها على الملأ. لقد أرادتني خالتي ماوديل أن أتزوج. وأعتقد أنها صمّمت ثوب عروستي المستقبلية قبل أن أغادر نيو أورلينز».

سألت بعد صمت: «هل أحببت فتاة في مراهقتك؟».

فضولها جعل أندريه يبتسم في نفسه: «لا. لكن خالتي اختارت لي عدداً منهن. فتيات جيدات من عائلات فرنسية أصيلة النسب».

- إذن، ما كانت ستوافق عليّ أبداً.

ضحك: «الآن وقد أصبحت في سن الثلاثين، لو جئت بك إلى البيت لتلتقي بها وخاتمي في إصبعك لانحنت وقبلت قدميك فرحاً».

- أعتقد أن أمي وصلت إلى هذه المرحلة.

- بما أنها لا تزال حية، ربما يجب أن نفكر بفعل شيء يجعلنا كلنا سعداء.

- أندريه.. أفضّل أن نغيّر الموضوع.

- لا أعتقد هذا. يجب أن نتكلم حول مخاوفك ونتعامل معها، لقد تربيت في بيت يخاف الله على يد امرأة رائعة، عاشت بعد خيانة والدك ولا تزال متلهفة لتراك عروساً.

- لكن ما حدث لها لم يكن عدلاً!

- أنا موافق معك.

- كان أبي من أسرة عريقة، وتعلّم جيداً وكان لديه كل فرص النجاح.

هو وأمي أحبا بعضهما بجنون. وحسب قول جدتي كان الجميع يقول إنه زواج القرن.

صمتت قليلاً، ثم: «بعد بضع سنوات من زواجهما، بدأ يسافر. وسرعان ما أصبح يغيب في عطل نهاية الأسبوع. ثم أسابيع كاملة... وفي عمر مبكر، كنت أرى أمي تبكي ليلاً. وعرفت السبب، لأنني كنت أبكي لأجله كذلك».

أدارت وجهها لتنظر إليه، فرأي عينيها الخضراوين تلمعان بدموع لم تذرفها: «كيف يستطيع أي كان أن يعرف ما يخبئه له المستقبل؟ عمي دونالد، شقيق أبي، هو النقيض تماماً.. إنه مخلص لزوجته وأولاده».

وارتجف صوتها: «ماذا دها أبي؟ كيف أمكنه أن يفعل ما فعله بأمي وبي؟».

اشتدت قسوة فك أندريه.. فمخاوف فرانسيسكا عميقة جداً. ولأول مرة في علاقتهما، بدأ يتساءل عما إذا كان هناك أمل لهما.

- ليس لدي جواب على هذا يا فرانسيسكا. ولكن كل ما تستطيعين فعله هو أن تعيشي حياتك الخاصة.. وهذا ما أريد أن أفعله، معك.

رمته بسؤال ناري: «إلى أن تسأم مني؟».

قاوم ليحافظ على رباطة جأشه وقال: «هذا سيف ذو حدين.. لكننا ناضجين ولا أظن أن مشاعرنا ستتغير كثيراً. وحين يأتي الأولاد، سيزداد حبنا».

- ماذا لو لم نرزق بأولاد؟

لم يكن متأكداً من أنه سمعها بشكل صحيح: «هل من سبب صحي يمنعك من الإنجاب؟».

هزت رأسها نفياً: «لا.. لكن، ماذا لو قرر أحدنا أنه لا يريد الأولاد؟».

- حسن جداً.. ربما ليس قبل وقت طويل من زواجنا.. فأنا في الوقت

www.elromancia.com

الحاضر لا أفكر سوى بسعادتنا، ليلاً نهاراً.

صاحت معذبة: «أندريه.. هل تريد أولاداً حقاً؟».

سؤالها فاجأه. وربما ما كان يجب أن يفاجئه: «طبعاً.. أحد الأسباب التي دفعتني لشراء المنزل هو احتواؤه على خمس غرف نوم فسيحة. وكنت آمل أن نملأها ببنات شقراوات وصبيان سود العينين. لكن، ليس في يوم واحد».

سألت بصوت يرتجف: «هل هذا حقاً أحد أحلامك؟».

تفرس في قسمات وجهها المذعورة لحظة، يتساءل عما يجري داخل هذا الرأس الجميل.

- لقد كبرت مع خالة لم تعرف أبداً حب رجل. وكانت نزقة معظم الوقت.. ولأجل الصحبة، كنت أتسكع حول أصدقائي وعائلاتهم. فهل من العجيب أن أجد نفسي أغلب الأحيان أحلم أن أنتمي إلى عائلة لي، مع أم وأب محبين، وزمرة أشقاء وشقيقات يمكن أن يلعبوا معي بعد عودة أصدقائي إلى بيوتهم؟

وأذهلها رده.. فسألها: «فرانسيسكا.. ما بك؟».

- ربما كان لي مثل هذه الأحلام ولا أذكرها. كل ما أعرفه هو أنه حين تركنا والدي، صممت على عدم الزواج وانجاب الأولاد.

كوّر شفتيه: «أتصور أن معظم الأولاد قد يشعرون هكذا لو عاشوا تجربتك.. ولحسن الحظ، كبرت لتصبحي امرأة تخطف الأنفاس، وأريدها زوجة لي. وحين سيكون الوقت مناسباً، سننجب أولاداً وسنحبهم جميعاً».

- لكن، ماذا لو لم يأتِ ذلك الوقت؟

سؤالها المؤلم، وصل أعماق روحه.

وأكملت: «هل رأيت لماذا لم أستطع المضي في الزواج تلك الليلة؟ حين تكلم القاضي عن الأولاد، لم أستطع أن أقطع الوعد بأن أضع سعادتك قبل سعادتي. وإذا حصل شيء لحبنا، على الأقل سيكون الجرح بيننا فقط».

وارتجت السيارة بنحيبها المكتوم.. أخيراً رفعت رأسها: «نحن نقترب من المطار.. أرجوك أن تنزلني عند المدخل، لا أريدك أن تدخل معي.. عدني بهذا يا أندريه».

كبح فرامل السيارة وأوقفها إلى جانب الطريق: «قبل أن تخرجي.. دعيني أتركك مع هذا».

مد يده إلى مؤخرة عنقها وشدها إليه يضم رأسها.. وتمتم بصوت محموم على أذنها: «سوف أفقد صوابي في غيابك. أنت حياتي يا فرانسيسكا.. الشيء الوحيد الذي يهمني. وبالتأكيد، أصبحت تعرفين هذا. سأكون هنا في الانتظار حين تعودين».

أرادت أن تصدقه، ولكن كيف تثق بالرجال؟ وكيف تتأكد من أنه سيحافظ على وعده؟

قالت بحرارة قبل أن تستجيب لعناقه: «أحبك يا أندريه».

طالما أنه سمع منها تلك الكلمة، فيمكنه أن يصبر... أو أن يحاول فبعد لقاء فرانسيسكا أدرك أنه لا يعرف معنى تلك الكلمة.

***

«نشكرك يا رب على هذا المنزل الجديد في هذه المدينة الجميلة.. نشكرك على إرشادنا إلى هذه البلاد الرائعة وهذه الكنيسة الرائعة، والأكثر من كل هذا، نشكرك على صديقنا الحبيب، أندريه، الذي كان طيباً جداً معنا».

تمتم أندريه: «آمين».

أكملت جيردا: «إنه فعلاً ملاك، ويستحق بركة السماء. أرجوك أن توليه رعايتك، وتجعله يعرف أننا سنعتبره دائماً جزءاً من عائلتنا. ونسألك أن تبارك هذا الطعام، وأن يحيي أجسادنا ويقويها، وساعدنا على فعل الخير خدمة لك.. آمين».

وتبللت عينا أندريه، فقد تأثر بدعاء جيردا.. وأحس بأن من الجيد أن يجلس إلى المائدة مع عائلتها في منزلهم الجديد وأن يرى مدى سعادتهم..

www.elromancia.com

لكن هناك شيء واحد ينقصه . . شخص واحد .

بينما كان هاريف يقطع لحم العجل المطبوخ، بدا أنه قرأ أفكار أندريه . . فسأل : «متى ستعود الآنسة مالوري؟» .

ـ في وقت متأخر من الليلة . . العواصف الثلجية أكثر سوءاً في الشرق منها هنا، فتأخرت رحلتها . لكن في آخر مرة اتصلت، قالوا إن طائرتها غادرت أخيراً مطار «لوغان» .

نظرت جيردا إليه بإشفاق : «أنا آسفة لانتظارك الطويل يا أندريه . أعرف كم أنت مشتاق إليها» .

ـ إنها حياتي .

ارتفع حاجبها : «إذن، يجب أن تفعل شيئاً» .

كانت هذه المرة الأولى التي تكلمه فيها جيردا بخصوص فرانسيسكا . وللحظة، ذكرته بخالته ماودل .

لقد جاءت لحظة الحقيقة : «هذا ما أنويه . . ما إن تنزل من الطائرة» .

كان الانتظار أشبه بالجحيم . اتصالاتهما الهاتفية الليلية لم تكن كافية .

سألت بصوت متعجب : «حقاً؟» .

ـ تذكرين ليلة الحفلة؟

ـ طبعاً . . ومن يستطيع أن ينسى تلك الليلة العظيمة؟

ـ لقد كادت تكون أعظم ليلة في حياتي . فرانسيسكا وأنا ذهبنا إلى نيقادا، وكدنا نتزوج .

تلاشت ابتسامة جيردا : «ماذا تعني كدنا؟» .

ـ لقد تراجعت خلال الإكليل .

وشهق جميع من على المائدة .

ـ لا بأس في هذا . . لديها بعض المخاوف ستتخلص منها . . ولدي خطة لمساعدتها الليلة .

ـ ولماذا لم تقل لي؟ لا بد أنك تألمت .

ـ فرانسيسكا ضعيفة جداً . ولم أرغب أن تظن أن الجميع يعرف بالأمر .

عبست جيردا : «لكن لماذا تراجعت عن الزواج؟ أنت رجل رائع» .

ـ أحب مبالغتك يا جيردا . . لكن شكراً لك على أي حال . أما بالنسبة لفرانسيسكا، فلديها أسبابها .

ـ ما من سبب وجيه بما يكفي ليمنعها أن تتزوج منك . . كنت أنتظر لأقيم لك حفلة زفاف كبيرة .

ـ ولن أفكر بشيء أكثر لطفاً . حين تكون فرانسيسكا مستعدة، ستأتي إليك لترتيب كل شيء .

ـ إذن، الليلة هي الليلة؟

ـ أجل .

صفقت بيديها : «أنا سعيدة لأجلك . . عما قريب سيأتي أندريه الصغير ليركض حول بيتك الجميل . تظن أنك سعيد الآن، لكن انتظر إلى أن تحمل طفلك الأول بين ذراعيك» .

لمعت عينا هاريف الزرقاوان : «أمي على حق يا أندريه، فالصغار يملأون المنزل» .

ـ يجب أن أعترف أنني أتطلع شوقاً لذلك اليوم . لكنني الآن سأقنع بأن تعود فرانسيسكا سالمة إليّ .

ردّت جيردا : «بالطبع» .

اقترح هاريف : «بعد العشاء، إذا كان بإمكانك التركيز، سنكمل لعبة الشطرنج إلى أن تضطر للذهاب إلى المطار» .

بادره أندريه بابتسامة : «هل تخطط لتستغلني؟» .

وبرزت ضحكة عريضة على وجه هاريف : «نعم» .

ـ لن أمانع . . فأنا بحاجة لشيء يلهيني .

ـ هذا ما ظننت أنك بحاجة إليه .

بعد ساعة، أعلن هاريف موت الملك ولم تكن أفكار أندريه بكل تأكيد

www.elromancia.com

محصورة في اللعبة. شكر العائلة لضيافتهم، ثم غادر المنزل متجهاً إلى المطار.

تطلعت فران من نافذة الطائرة نحو الظلام. الآن وقد أعلن الطيّار الهبوط في مطار بحيرة الملح الدولي، شعرت بانقباض في معدتها. أندريه هناك ينتظرها.

لقد ازداد شوقها إليه خلال هذا الأسبوع الطويل الكئيب، وقد عرفت أنه مميز جداً بالنسبة إليها.

لكنه يريد أولاداً، وعائلة. تستطيع أن تعطيه الحب، لكنها لا تستطيع أن تمنحه الأولاد والعائلة.

ولهذا السبب، ستقول له إن كل شيء انتهى حقاً. الليلة يجب أن تبتعد عنه.

كان الذهاب إلى نيڤادا غلطة. ليلة الحفلة، كانت تفكر بقلبها لا بعقلها.. مع ذلك، هي الآن تعاني نوعاً من الاضطراب العاطفي، لن تخرج منه، إذا لم تقطع صلتها به على الفور.

ما زال أمامها بعض الوقت. لقد أوضح لها تماماً أنه يريد أولاداً في طريقهما إلى المطار، وحين سيعرف أن لا أمل، سيختفي إلى الأبد. وهذا ما تريده، فهي الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تنقذها لتكمل حياتها.

منذ أول يوم وقعت عيناها عليه، لم تعد حياتها سوى تدريب على العذاب.

من قال إن من الأفضل أن تحب وتخسر من أن لا تحب أبداً، فهو بالتأكيد لم يقع تحت سحر أندريه بينيت. وليس لديه أدنى فكرة عما يتحدث عنه.

ـ فرانسيسكا؟ هنا حبيبتي.

حتى قبل أن تلمحه بين حشد المسافرين في قاعة الانتظار، سمعت صوته العميق يناديها.

في اللحظة التي رأت فيها وجهه الوسيم أشاحت بعينيها عنه، رافضة

إطلاق العنان لنفسها في وقت خططت فيه لإنهاء علاقتهما في أسرع وقت ممكن.

وصل إليها وتعلّق بها: «ظننت أن هذا اليوم لن يصل، دعينا نخرج من هنا».

وأحست بلهفته ليكونا وحدهما، لكن وجود رجال الصحافة بين الجموع، منعه من معانقتها.. وكان هذا سبيل خلاصها في تلك اللحظات.

بعد أن أراحها من حقيبة آلة التصوير، دس يده في عنقها ورافقها إلى الطابق الأسفل لتستعيد حقيبتها وخافت فران من الكلام إلى أن يصبحا في خلوة تامة، ولا بد أن أندريه يشعر بالطريقة ذاتها. وبدلاً من الكلام، داعبت أصابعه بشرتها، مرسلاً رسالة صامتة بأنهما سرعان ما سيكونان لوحدهما ليرحبا ببعضهما.. ومع أنها حاولت ألاّ تستجيب، إلا أن لمسته أرسلت قشعريرة في جسمها.

بعد البرد المتجمد في موقف السيارات، أحست فران بالدفء في السيارة. حين جلس مكانه خلف المقود، أدار المحرك، ثم مد يديه ليحتويها بين ذراعيه.

تمتم بصوت متشوق: «لقد أطلت البعاد».

وكان عذاباً لها ألاّ تستجيب، لكنها كانت تقاوم. وأدارت وجهها جانباً لتتجنبه وقالت: «أندريه؟ هل تمانع أن توصلني إلى البيت مباشرة؟ أنا لست بحالة جيدة الآن. سآخذ سيارتي من منزلك لاحقاً».

أحست بتردده، قبل أن تتركها يداه ببطء ويتراجع إلى الخلف في مقعده الجلدي.. واستطاعت أن تشعر بعينيه السوداوين الذكيتين تتفرسان بها بشدة.

ـ حين تكلمنا معاً آخر مرة، لم يكن يبدو أنك مريضة.. هل تشعرين بدوار السفر؟

ردت بصوت مرتجف: «لا».

ـ إذن، لا بد أنك أصبت بالرشح. ومن الجيد أنك عدت، لأستطيع العناية بك.

لا أندريه.. صاح قلبها بعذاب متجدد. لا يمكنني أن أتركك تفعل هذا.. لا أستطيع أن أترك نفسي معرضة للخطر أكثر معك، أكثر مما أنا فيه.

بحركات مختصرة، أدار جهاز التدفئة وعاد بالسيارة. وعندما وصلا إلى الطريق الرئيسية المؤدية إلى المدينة، أحست فران بضرورة التكلم للتخفيف من التوتر الملموس داخل السيارة.

ـ شوارع «بحيرة الملح» أفضل حالاً من تلك التي في الشرق.

سمعته يتنفس بحدة: «واضح أن شيئاً ما حدث وأنت مسافرة، ليقلبك رأساً على عقب. لا تتلاعبي بي يا فرانسيسكا. أريد أن أعرف ما خطبك.. وأريد أن أعرف الآن».

تجربتها مع أندريه تكفي لتدرك أنه يعني دائماً ما يقول. لكنها أحست أن من الأفضل ألاّ يكون وراء المقود حين تتطرق إلى موضوع إنهاء علاقتهما.

قالت: «هل يمكن أن نتوقف إلى جانب الطريق إذن؟».

نظر إليها نظرة لم تستطع تحديدها.

ـ بكلمات أخرى، تقولين لي إن ما أنت بصدد الكلام عنه سيفقدني السيطرة على السيارة.

هزت رأسها ببؤس: «لا أندريه.. وأنا أفضل أن نتكلم في الشقة».

ـ ظننتك تريدين الذهاب إلى البيت.

ـ هذا صحيح.

ـ بيتك معي الآن. جيردا وعائلتها انتقلوا إلى منزلهم الجديد.. ولا شيء يمنعنا من أن نكون معاً الآن.

لم تستطع النظر إليه: «بلى..».

ـ فرانسيسكا.. لقد فكرت بالأمر كثيراً. إذا كنت لا تريدين أولاداً، فليكن. فبدونك، لا فائدة من أي شيء، أنت وأنا سيكون لنا حياة رائعة.

لا أندريه.. لا.

وهزت رأسها: «لا أستطيع أن أطلب منك التضحية من أجلي هكذا».

ـ لماذا؟

ـ أندريه..

أخيراً وجدت الشجاعة لتقول: «لقد قررت ألاّ أراك مجدداً».

بعد هذا الاعتراف، لم تكن تدري ماذا تتوقع.. لكنها لم تحسب حساباً لصمت أندريه المطبق.

تابع القيادة وكأنه لم يسمع ما قالت. في البداية، ظنته سيأخذها إلى منزله، شاءت أم أبت.. لكن حين اجتازا الطريق المؤدية إلى منزله أدركت أنه ينوي إيصالها إلى الشقة كما طلبت.

وشدت رباطات حقيبة يدها: «أرجوك يا أندريه.. قل شيئاً».

لم تتغير سرعة السيارة.. ولا تغيرت قسمات وجهه التي كانت تنم عن مظهر يشبه القناع في الضوء المعتم.

ـ أعتقد أنك قلت كل شيء.

جف حلقها، حتى بالكاد استطاعت أن تتكلم: «علاقتنا كانت غلطة منذ البداية.. لقد انجرف كل منا بغرامه للآخر. لكن هذه المشاعر الملتهبة لن تدوم إلى الأبد، ومن الأسهل أن ننتهي الآن، ويذهب كل منّا في طريقه».

حين لم يصدر شيء عنه، بدأت تذعر: «بينما كنت في واشنطن، حظيت بالوقت لأفكر ووجدت أنك تعيش حياة غير طبيعية هنا.. كن صادقاً أندريه، أنت تحب البحر. والسبب الوحيد الذي جاء بك إلى الغرب هو والدك، وبما أنه مات، فما من شيء يدفعك للبقاء...».

وقاومت لتتنفس: «آمل أن تتمكن يوماً أن تسامحني لأنني كنت شخصاً

www.elromancia.com

بغيضاً، ولأنني قلت لك إنني سأتزوجك في وقت كنت أعلم فيه من أعماق قلبي، أن الزواج لن ينجح. يجب أن تفعل ما يجعلك سعيداً، فبعد حياة المغامرة التي عشتها، ستموت اختناقاً هنا».

مع ذلك، لم يقل شيئاً وهما يستديران إلى الشارع الذي تسكن فيه: «أنا لا أنوي الزواج.. لكنني أعرف أنك في النهاية ستجد امرأة تستطيع أن تعطيك كل ما تحتاج إليه وما تستحقه. ما من أحد يستحق زواجاً مكتملاً وأولاداً أكثر منك. وأتمنى لو كنت تلك المرأة، لأعطيك كل شيء، لكنني لا أستطيع.. لا أستطيع».

وكان همسها معذباً.

قال بصوت خشن: «أصدقك».

خرج من السيارة، وتقدم ليخرج حقائبها من الصندوق. ولم تشعر إلا وقد فتح الباب لها ليساعدها على السير على الثلج.

لقد كان أندريه دائماً رجلاً لبقاً. لكن هذا العرض للأخلاق الحميدة، في وقت تعرف فيه أنه يتألم كثيراً، أمر لا يحتمل.

ـ أرجوك يا أندريه، أستطيع الدخول بمفردي.

ـ لا أشك في هذا. فامرأة لا تزال عزباء وهي في سن الثامنة والعشرين، لا بد تعلمت كيف تحافظ على نفسها. لكن، بما أنني هنا، فلمَ لا تستغليني. بعد ذهابي، بإمكانك التمتع بعزوبيك حتى يكتفي قلبك.

كاد الألم الذي شعرت به في قلبها يشل حركتها.

وتقدم نحو المبنى. ولم يكن لها خيار سوى أن تلحق به إلى الباب.

ـ سأرسل لك سيارتك في الصباح الباكر.

بسرعة، وقبل أن تنهار، فتشت فران في حقيبتها عن المفتاح ودسته في القفل. وكان أندريه خلفها تماماً، وما إن فتحت الباب حتى وضع الحقائب داخل الردهة الصغيرة.

لفترة قصيرة، أحست بعينيه السوداوين تجولان عليها. لكن عينيه كانتا

غامضتين تخفيان أفكاره.

ـ يفهم البحّار أكثر من أي شخص آخر، معنى مرور سفينتين ببعضهما ليلاً.. مع بحر لا يرحم ولا قرار له يشعر البحّارة بالترابط المؤقت.. رباط إنساني صغير إلى أن تختفي الباخرتان في الظلام الفارغ، في اتجاهين مختلفين، ولا تمران ببعضهما مرة أخرى.

صمت قليلاً: «للحظات حلوة ترابطنا، أنت وأنا.. صدقي أو لا تصدقي. وأعتبر نفسي محظوظاً لأنني سأذهب وهذه الذكرى في قلبي. بعض من الأحياء، مقدر لهم ألاّ يقتربوا من بعضهم أبداً..».

نظر إليها مكتئباً: «وداعاً يا فرانسيسكا».

ترنحت.. واضطرت للإمساك بمقبض الباب كي لا تقع.

هذه ليست مثل المرات الأخرى.

هذه المرة لن يظهر مجدداً دون أن تتوقعه.

هذه المرة انتهى الأمر حقاً.

لقد خرج أندريه ببنيت من حياتها.

لن يستطيع جرحك الآن.

لقد رحل إلى الأبد.

يمكنك العودة إلى الحياة التي كنت تعيشينها قبل أن تذهبي إلى ذلك الدير وتدخلي المنطقة المحرمة.

***

ـ ناتالي؟

ـ أندريه؟

ـ نعم.. سامحيني لانصالي بك في وقت متأخر هكذا، لكن الأمر مهم.

ـ أرجوك لا تعتذر.. هذا عملي. إضافة إلى أنني أعتبرك صديقاً طيباً، يمكنك إزعاجي في أي وقت تشاء. هل كل شيء على ما يرام عند أسرة ريشتر؟

- حين تركتهم وقت العشاء منذ بضع ساعات، كانوا في أحسن حالاتهم لكنهم ليسوا سبب اتصالي.

- وكيف أستطيع مساعدتك؟

- سوف أغادر «بحيرة الملح» هذه الليلة.. ولن أعود.

شهقت: «ماذا؟ لكنني ظننت..».

- ناتالي.. اسمعيني فقط.. لقد وضبت الأشياء التي سآخذها معي. ويمكنك بيع كل شيء آخر مع المنزل. سأترك أمر البيع بين يديك الكفؤتين.. لقد سبق وتعاملت مع محامي.. لديه السلطة القانونية ليتصرف لمصلحتي ويستثمر المبلغ.

- لكن، أندريه..

- هناك أشياء لا تعرفينها يا ناتالي.. أرجوك كوني صديقتي ونفذي رغباتي.. هذا كل ما أطلبه.

ردت بصوت مختنق: «طبعاً سأفعل. سأحصل على أعلى سعر من أجلك».

- لم أشك في هذا أبداً. شكراً لك على كل شيء، سأكون ممتناً على الدوام لمساعدتك.. أنت الأفضل في عملك.. اعتني بنفسك يا ناتالي.

كان لا يزال أمام أندريه أمران يفعلهما قبل أن يذهب إلى المطار.. بعد أن أخذ ورقة من درج مكتبه، بدأ يكتب رسالة بالألمانية:

«عزيزتي جيردا..

كنت بمثابة أم لي. والليلة أكتب لك كابن لك.

لقد خذلتني فرانسيسكا، وأفهم أسبابها. لكنني لم أعد أستطيع العيش في هذه المدينة ولا في هذه البلاد.

قد لا تسمعين عن أخباري قبل وقت طويل، لكن اعرفي دائماً أنني أحبك وعائلتك من أعماق قلبي.

سأترك لك سيارتي كهدية انتقالك إلى منزلك الجديد. هكذا لن

تضطري أن تشاركي هاريف في سيارته.. إنها ألمانية الصنع، لذا أنا على ثقة أنك لن تمانعي. سيتصل بك المحامي ليسجلها باسمك ويسلّمك المفتاح.

كان من حسن حظي أن أعرفك وأعرف عائلتك.. أتمنى أن تكوني سعيدة دائماً يا جيردا.

وآمل أنك حين تفكرين بي، ستذكرينني على أنني كنزك لأنني متعلق بهذا اللقب..

مع كل حبي.. أندريه».

طوى الرسالة ووضعها في مغلف. وحين سيصل المطار، سيرسلها بالبريد.

بعد ثلاثة أرباع الساعة، قال لسائق التاكسي أن يلحق بسيارة فرانسيسكا وهو يقودها إلى شقتها.. وبعد أن ترك لها المفاتيح في علبة البريد، ركب سيارة الأجرة. وبعد عشر دقائق، طلب من السائق انتظاره في موقف السيارات التابع للدير.

كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل، وسيكون كل الأخوة نيام الآن. ولم يحتج لضوء وهو يشق طريقه داخل الدير المعتم.. ليال كثيرة، كان يجد نفسه عند قبر والده حين لا يستطيع النوم.

- لن أستطيع المغادرة دون أن أقول لك شيئاً قد يأتيك بعزاء كبير. هنا، التقيت امرأة، ووجدت معنى الحياة، لا تقلق عليّ بعد الآن. وارقد بسلام يا أبي.

***

www.elromancia.com

١٠ ـ إلى أن يفرّقنا الموت

ـ آلو؟ جيردا؟

بعد صمت قصير جاء الرد: «هل هذا أنت يا فرانسيسكا؟».

ـ أجل.. أرجو المعذرة لإزعاجك.

ـ أنت لم تزعجيني عزيزتي.. أنا سعيدة جداً لسماع صوتك.

ـ من اللطف أن أتكلم معك يا.. جيردا! لقد ذهبت إلى المنزل منذ قليل ووجدت لوحة «للبيع» على أملاك أندريه، ولم يرد أحد على قرعي الباب. هل تعلمين أين هو؟ أحتاج أن أتكلم معه.

مرة أخرى سمعت فران التردد من المرأة المسنة: «لقد أرسل لنا رسالة.. تقول إنه رحل بعيداً ولن يعود».

صاحت: «إلى أين رحل؟ يجب أن أجده!».

ـ أتمنى لو أعرف.

وبدت جيردا صادقة تماماً.

ـ هل تظنين أن ناتالي كارتنز لديها فكرة؟

ـ لا.. فقد سألتها، إنها تتولى مسألة البيع لمنزل أندريه. وواضح أنه طلب منها بيع كل شيء.. حتى الأثاث.

يا إلهي.. ماذا فعلت؟

تمتمت جيردا: «ولقد تحدثت كذلك مع السيد إيرل، محامي أندريه..

حتى لو كان يعرف مكانه، فلديه أوامر ألا يكشف المعلومات لأحد».

تأوهت فران: «سفر أندريه كان غلطتي».

ـ لقد أحبك كثيراً.

ـ أوه جيردا.. وأنا أحبه كثيراً.. لا يمكن أن تتصوري.. يجب أن أجده!

ـ أعترف أن الموقف دقيق. ربما لو سألت عنه في الدير.

الدير.

ـ أعتقد أنك ملهمة.. لن يسافر قبل أن يودعهم.. سأذهب إلى هناك في الحال.

ـ دعيني أعرف إذا سمعت شيئاً، ومن الطبيعي أن أتصل بك لو سمعت شيئاً عن مكان وجوده.

ـ شكراً لك.

ـ لا داعي للشكر.. كلانا يحبه.. لا؟

ـ أوه.. أجل!

لكن، بعد نصف ساعة تبددت آمال فران حين لم يستطع الأخ جوزف في محل التذكارات أن يفيدها بشيء.

ـ أنا أحبه أيها الأخ جوزف.. ربما لم يخبرك شيئاً عنا، لكنه يحبني كذلك. أنا أريد أن أجده وأكلمه.. لقد طلب مني الزواج، وأريد أن أقول له نعم.

نظر إليها الراهب العجوز بإشفاق: «لم أكن أعرف هذا.. تهانيّ. كان هذا الخبر سيجعل رئيس الدير سعيداً جداً».

ـ آمل هذا بكل إخلاص. لكن المشكلة أن أندريه وأنا كان بيننا سوء تفاهم، ويجب أن أجده الآن. أليس لديك فكرة أين يمكن أن يكون؟ ألم يشاركك في أي شيء؟

ـ لا.. أنا آسف.

www.elromancia.com

ـ لو عرفت شيئاً . . هل يمكن أن تعلمني؟
ـ عودي بعد أسبوع . . ربما عرفنا شيئاً.
ـ أجل . . سأفعل هذا، شكراً لك.
واستدارت بسرعة لتبتعد، خائفة أن تنفجر بالبكاء أمامه.
وصلت إلى الباب حين ناداها لتعود: «هناك بطاقة بريدية وصلته منذ بضعة أيام، وبما أنك تخططين للزواج منه، ربما تودّين أخذها معك».
تملكها الفضول لتعرف من يكتب له، وأخذت البطاقة من الراهب وقرأت الرسالة:
«عزيزي أندريه.
زوجتي وأنا فكرنا بالأمر كثيراً، وإذا كنت لا تعتقد أن حبيبتك ستمانع، سيسعدنا أن تأتي إلى «بحيرة الملح» ونقيم معك في منزلك الجديد . . بصراحة لا أستطيع الانتظار لأراه.
لكن، يجب أن يكون هذا في اليوم الذي يلي عيد الميلاد لأننا سنقضيه مع عائلتها. هاك رقم هاتفي . . اتصل بي وسنقوم بالترتيبات الأخيرة. الأولاد متشوقون للتزلج على الثلج معك!
شكراً مرة أخرى على الدعوة . .
المخلص جيمي بينغ».
رمشت فران بعينيها . . جيمي هو الرجل الذي أمضى أندريه معه عيد الشكر . . وهما يبحران معاً حين يذهبان إلى ألاسكا.
ـ أخ جوزف؟ هل من هاتف أستطيع استخدامه؟
ـ طبعاً . . إنه هنا.
شعرت فران أن جيمي هو الشخص الوحيد الذي قد يعرف أين يجد أندريه. وبقلب خافق ضغطت الأزرار، وهي تدعو الله أن يجيبها أحد.
* * *
ـ مرحباً؟ هل أنت أندريه بينيت؟

توقف أندريه عن ترتيب الأشياء في خزانته.
ـ أجل.
ـ أنت مطلوب على الرصيف.
قطب أندريه: «لماذا؟ نحن على وشك الإبحار».
ـ لا فكرة عندي. شخص ما طلب مني أن أقول لك هذا.
لا بد أن هذا جيمي وعائلته، جاءوا ليودعوه مع أنه قال لهم ألا يفعلوا.
ـ شكراً للرسالة.
ـ لا شكر على واجب.
كان الرصيف يعجّ بالناس والعائلات والعشّاق وكان أندريه دائماً يشغل نفسه على سطح السفينة حتى تقلع في عرض البحر.
آخر شيء كان يود أن يفعله الآن، هو النزول إلى اليابسة لآخر جولة من الوداع. فعائلة جيمي كانت مضطرة أن تتحمل أكثر مما تستطيعه هذه المرة، ولا يحق له أن يؤثر بألمه على الجميع. غادر منزلهم باكراً إلى الميناء في سيارة أجرة . . ونظراً للظروف، لم يكن يعرف لماذا يزعجون أنفسهم بالمجيء.
افترض أندريه أنه قادر على الادعاء أنه لم يتلق الرسالة. لكن هذا سيكون إهانة وعليه أن يقوم بجهد أخير ليكون متمدناً قبل أن يختفي . . كانت ظلمة المستقبل دون فرانسيسكا أمامه . . .
في منتصف الطريق، توقف نظره على حشد من الناس يصيحون لطاقم السفينة. وحتى الآن لم يجد أثراً لصديقه الطبيب.
ـ أندريه!
تراجع رأسه إلى الوراء، وفرك عينيه . . لا بد أنه يهلوس . . من بين الأصوات الكثيرة، كان هناك صوت يناديه يشبه صوت فرانسيسكا تماماً. ربما أصبحت في دمه، إلى حدّ أنه لم يعد يستطيع التفكير بشيء سواها.
ـ انتظر حبيبي! لا تذهب . . ! أنا قادمة!

www.elromancia.com

وشله الخوف من أنه حين يفتح عينيه سيكون كل هذا من نسج الخيال. وكان بطيئاً في ردة فعله.. وحين جرؤ على فتح عينيه والنظر جهة الصوت، رأى امرأة شقراء الشعر تحاول أن تشق طريقها عبر الجموع.

كان وجه فرانسيسكا الجميل هو الذي رآه. وكاد قلبه يقفز من صدره.

لم يستطع أن يتصور كيف اقتفت أثره إلى هنا.. لكن هذا لا يهم فقد اجتازت كل هذه المسافة لتراه، وراح أندريه يركض نحوها.

ووجد نفسه كالبحارة الآخرين الذين كانوا دائماً يدفعون الناس جانباً ليصلوا إلى زوجاتهم وحبيباتهم عند الرصيف...

آخر شيء شاهده وهو يضمها في ذراعيه هو اللمعان الأخضر في عينيها.. وكان الإحساس بها دافئاً بشكل رائع. عانقها بشدة وأخذا يدوران معاً.

ـ شكراً لله لأنني لم أتأخر.

وكان هذا كل ما تمكنت من قوله قبل أن تنهار بالكامل، غير عابئة بمن حولهما.

ـ أرجوك لا تتركني يا أندريه.. أنا أحتاج إليك. أنا أحبك.. حبيبي.

تطلعت إليه بوجه يلمع بالدموع: «أرجوك.. قل إنك تسامحني.. سوف نبدأ من جديد.. وبالطريقة الصحيحة هذه المرة. لدي أمور كثيرة أقولها لك. لكنني لا أستطيع قول كل شيء هنا..».

صمتت قليلاً: «لقد أدركت أنني سمحت لتصرف والدي أن يفسد حياتي. فقررت ألاّ يدمر ما تبقى منها، وذهبت إلى منزلك لكنني رأيت لوحة البيع مغروسة أمامه.. وكدت أموت..».

مسحت دموعها وقالت متوسلة: «أوه.. أندريه.. أرجوك عد معي.. وأقسم أن أجعلك أسعد رجل في العالم.. لا حياة من دونك.. أعرف هذا الآن».

يا إلهي.. لقد حدثت معجزة.. إنه يضم بين ذراعيه فرانسيسكا التي

فتحت أخيراً روحها له.. وكانت اللحظة مؤثرة جداً، ووجد صعوبة في التعبير عن أفكاره.

تمتم: «وجدت حياتي يوم التقيتك. ولم أعد كما كنت منذ ذلك اليوم».

هذه المرة كان هناك فارق في طريقة عناقه لها، وطريقة استجابتها له. الخوف والمقاومة ذهبا إلى غير عودة.. وحل مكانهما إحساس بالحب والرغبة.

سمع شخصاً ينادي: «هاي.. بينيت.. هل أنت قادم معنا أم لا؟».

صاح يرد بعد أن أبعد فرانسيسكا قليلاً عنه: «لا! انتظري هنا حبي.. ولا تتحركي».

أشرقت عيناها ببريق نادر.

ـ لن أذهب إلى أي مكان إلا إذا كنت معك.. أوه حبيبي، أنا أحبك كثيراً حتى أنني أتألم.

وضغطت يدها إلى قلبها.

فهمس لها: «لدي علاج لهذا».

ابتسمت عبر دموع الفرح: «وأنا كذلك. القاضي آيبلباي في «إيلكو» ينتظر ليزوجنا ما إن نصل إلى هناك.. قلت له إنني مستعدة للقسم هذه المرة. ولقد حجزت لنا مقعدين على الطائرة التي ستغادر مطار لوس أنجلوس عند الساعة الثالثة».

لم تكن الكلمات كافية.. وضمّها إلى جسمه مرة أخرى، ثم همس أخيراً: «أعطني خمس دقائق.. وسأكون لك».

ـ وماذا لو أعطيتك حياتي كلها؟

حرارة لهجتها أشعلت ناراً متجددة فيه: «أنا موافق يا حبيبتي».

بعد تسع ساعات كانا أمام القاضي آيبلباي الذي ابتسم لهما ابتسامة عريضة.

ـ حسن جداً.. يبدو أنكما عدتما إلى بيتيكما وتشاورتما معاً. لقد قلت

لكما لو أن حبكما مصيره البقاء، فسينجح كل شيء.

والتفت إلى فران: «والآن كرري ورائي: أنا فرانسيسكا مالوري أتخذ هذا الرجل، أندريه بينيت زوجي الشرعي. وأقسم قسماً مقدساً أن أحبه، وأشرفه، وأرعاه. وأن أبقى مخلصة له في المرض والصحة، في الفقر والثراء، في السرّاء والضرّاء، حتى يفرقنا الموت».

بينما كانت فران تردد الكلمات بصوت جلي رنان، أحست بيد أندريه تتسلل إلى خصرها وتشدها إليه.

وهز القاضي رأسه، ثم قال لأندريه أن يكرر وراءه: «أنا أندريه بينيت أتخذ هذه المرأة، فرانسيسكا مالوري زوجتي الشرعية. وأقسم قسماً مقدساً بأن أحبها، وأشرّفها، وأرعاها، وأحميها، وأن أبقى مخلصاً لها في المرض والصحة، وفي الفقر والثراء، وفي السرّاء والضرّاء إلى أن يفرقنا الموت».

كان في صوت أندريه العميق حرارة اخترقت قلب فرانسيسكا فأحسّست بسعادة لم تختبر مثلها من قبل.

وأكمل القاضي: «بما أنكما، أنت فرانسيسكا وأنت أندريه، أقسمتما أمام الله على حب بعضكما حتى الممات، فبالسلطة الموكلة إلي من قبل محكمة مقاطعة إيلكو في ولاية نيڤادا في الولايات المتحدة، أعلنكما زوجاً وزوجة. وما جمعه الله، لا يفرقه إنسان.. يمكن أن تعطيها الخاتم، ثم تقبل عروسك الجميلة يا سيد بينيت».

مدّ أندريه يده إلى جيب سترته وأخرج الخاتم الذي طالما تشوقت أن تضعه في أصبعها. وحين دسه في أصبعها، جذبها بين ذراعيه.

ـ فرانسيسكا..

تلفظ اسمها بمشاعر جيّاشة، فأشعلت نار حبه كيانها بأسره.

بعد خمسة أسابيع، وبينما كانت فران إلى جانب زوجها يستقبلان الضيوف في غرفة جلوس منزل جيردا، أحست بيد أندريه تندس إلى ظهرها ليداعب عنقها. وهمس في أذنها:

ـ كم سيطول بنا الوقت لنكون لوحدنا؟

وأرسل كلامه موجات حرارة في جسمها المضطرب.

قالت آسفة: «أنا.. أخشى أن لا يكون هذا قبل وقت، هناك أناس كثيرون لا يزالون ينتظرون لقاء زوجي الوسيم. أتعرف.. الليلة تذكرني بما بدوت عليه حين رأيتك أول مرة».

ـ إذا كنت تذكرين، كنت أرتدي ملابس عمل استعرتها من الأخ جوزف، دعينا نأمل أن تكون هذه البذلة الرسمية السوداء، تحسناً يذكر.

ابتسمت فران: «أنا لم أكن أشير إلى ملابسك».

مازحها بخبث: «حقاً؟».

احمرّ خداها: «ما عنيته أنه كان لك وقفة أميرية. ولقد خطفت أنفاسي، ولم أستردها منذ ذلك اليوم».

أحست بلمسته الحميمة على ضلوعها، وقال: «أعتقد أنني سأنتظر قليلاً لأقول لك بعضاً من الأفكار التي مرّت في رأسي، وأنا أراقب جسمك المغري في البذلة التي كنت ترتدينها، وأقسم أنك كنت قادرة على إغواء الشيطان نفسه».

ـ أندريه!

قبّل عنقها: «أحب حين تدّعين أنك صدمت».

كانت غارقة الآن بمشاعر ملتهبة.. ومتجاهلة تعليقه، قالت: «إذا كنت تريد معرفة الحقيقة، أنا الآن موضع حسد كل امرأة في غرفة الجلوس هنا».

هز رأسه: «كل العيون شاخصة عليك فرانسيسكا.. لا تخطئي في هذا أبداً.. في الحقيقة أشعر بالأسف على الدكتور باركر. المسكين لا يزال يحبك».

ـ أنت مخطىء يا حبيبي. إنه يود لو يحب مثلنا. وفي يوم ما سيحدث له هذا.

- ربما.. إذا كان محظوظاً، والتقى بالمرأة المناسبة.. الليلة أشعر بالأسف على كل من ليس مثلنا.

امتلأت عينا فران دموعاً لفرط السعادة، وعرفت بالضبط ماذا يعني.. خاصة وأن لديها خبراً رائعاً تزفه له.

همست بارتجاف: «أندريه.. بعد أن ننتهي، أرغب في نزهة بالسيارة».

نظر إليها بفضول: «يجب أن أعترف أنني كنت أفكر بخطط أخرى لنا. لكنني لا أستطيع رفض أي طلب لك».

- لن تطول النزهة كثيراً.

بدا لمعان غريب في عينيه الجميلتين: «وهل هي نوع من المفاجأة؟».

ابتسمت إليه بإغراء: «يجب أن تنتظر لترى».

قال بصوت خشن: «ما كان يجب أن تقولي لي هذا. الآن لن أستطيع الانتظار لنغادر المنزل».

- إذا فعلت هذا، سيخيب أمل الجميع، خاصة جيردا وأمي اللتين فعلتا المستحيل لتحضرا هذه الحفلة لنا.

- في هذه الحالة، سأكون طيباً، فأنا أحبهما كثيراً.

بعد ساعتين من هذا، حصل أندريه على زوجته لنفسه، وسألها بفضول يكاد يلتهمه: «إلى أين تريدين الذهاب؟».

- تابع سيرك جنوباً إلى أن أقول لك أن تستدير.

كانت تتصرف بغموض.. ولم يعرف أندريه بماذا يفكر. واضح أن هناك أشياء ستنكشف بعد خمسة أسابيع من الزواج. لكنه لن يتذمر، بل على العكس، فالحياة مع فرانسيسكا تجاوزت مفهومه عن نعمة الزواج.

- اتجه إلى المخرج التالي يا حبيبي.

تمتم قائلاً: «حاضر».

كانت الليلة تشع جمالاً جعلها تتوهج. في الواقع، كان مسحوراً

بزوجته وهي في هذا المزاج.. ولم يدرك أنهما في الطريق إلى الدير، إلى أن قالت له أن يدخل من البوابة.

أيّاً تكن المفاجأة التي تنتظره في نهاية نزهتهما القصيرة، ما كان يتصور أن ترغب في المجيء إلى هنا، فالساعة تقارب منتصف الليل، والطقس بارد في الخارج.

- فرانسيسكا؟

- بعد دقائق سأرد على كل تساؤلاتك.. أودّ أن أزور قبر والدك.

رفرف عينيه ذهولاً. لكن أمام إصرارها، خرج من السيارة، واستدار إلى الجانب الآخر، ليساعدها على الخروج.

- الطقس هنا بارد جداً عليك.

- سأكون بخير بين ذراعيك.

كان نور الهلال مضيئاً أكثر من المرة الماضية التي جاء فيها إلى هنا ليودع أباه.. وبدا له هذا منذ أمد بعيد، حين كان رجلاً آخر.

اقتربا من المكان الذي دفن والده فيه الربيع الفائت. واستدارت إليه ببطء، لتضع يديها على ذراعيه: «أندريه.. يا حبي.. لدي شيء أقوله لك. اعتقدت أن والدك سيحب أن يسمعه لو كان يصغي إلينا».

بدأ قلب أندريه يخفق بشدة. وأنارت ابتسامة وجهها.

- سنرزق بطفل حبيبي. لقد عرفت هذا بالأمس، وكدت أطير من الفرح. وبدا لي مناسباً أن نأتي إلى هنا، لأن هذا هو المكان الذي حدث فيه كل شيء. حيث أحببنا بعضنا... وكل هذا بفضل الأب أمبروز، والدك، الذي وافق على كتابة قصة لمجلتي.

صمتت قليلاً: «كنت أعتقد أن الأشياء تحدث صدفة.. لكن وأنا أفكر بنيسان الماضي، أصبحت مقتنعة أن القدر هو الذي جعل خالتك تخبرك عن أبيك وأرسلني عوضاً عن باول.. إنه قدرنا.. وهو الآن قدر طفلنا».

www.elromancia.com

ولم يعد أندريه قادراً على التفكير، أو الكلام. كل ما استطاع أن يفعله، هم ضمّ حبيبته بين ذراعيه. هذه المرأة الجميلة الرائعة، التي تحمل في أحشائها طفلاً سيشكل محور حياتهما... وحبهما.

***

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة